



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين



النبوة المحمدية في الدرس الاستشراقي الألماني جولد تسيهر -مثالاً-

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماجستير
في العلوم الإسلامية - تخصص: عقيدة إسلامية

المشرف:
د. زهير بن كتفي

الطالب:
محمد عبد العزيز عرعار

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
البشير بوساحة	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا
زهير بن كتفي	أستاذ محاضر -ب-	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
محمد عمارة	أستاذ محاضر -ب-	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية: 1439 - 1440 هـ / 2018 - 2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك.. ولا يطيب النهار إلا بطاعتك.. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك..

ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك.. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.. الله تعالى

إلى من بلغ الرسالة.. وأدى الأمانة.. ونصح الأمة.. إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلَّه الله بالهيبة والوقار.. إلى من علَّمني العطاء دون انتظار.. إلى من أحمل اسمه بكل

افتخار.. أرجو من الله أن يبارك في عمرك لترى ثماراً قد حان قِطافها بعد طول انتظار.. وستبقى

كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد والدي العزيز عمر

إلى ملاكي في الحياة.. إلى معنى الحب.. وإلى معنى الحنان والتفاني.. إلى بسملة الحياة وسر الوجود..

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي.. وحنانها بلسم جراحي.. إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة فاطمة

الزهراء

إلى رفقاء دربي.. وهذه الحياة التي بدوغم لا شيء.. وبدوغم أكون مثل أي شيء.. وبهم أكون كل

شيء.. إلى سندي في الحياة إخوتي وأخواتي بشرى.. شفيقة.. أسماء.. نجاة.. أم سلمة.. رقية.. بدر

الدين.. أحمد ناصح أمين.. حاجة عائشة.

إلى زهرات حياتي.. أبناء أخواتي.. مريم.. أسيل أم الكرم.. زينب.. محمد رياض.. إخلاص..

طلحة.. توفيق.

إلى من تحلَّوا بالإخاء.. وتميزوا بالوفاء والعطاء.. إلى ينابيع الصدق الصافي.. إلى الذين لم تلدهم

أمي.. رفقائي في الدرب العلمي.. عبد الكريم.. عبد الرحيم.. محمد الأمين.. إبراهيم.. عبد الجبار..

عمر.. سفيان.. وحيد.. الهادفة.. زينب.. رحيمة.. إلهام.. حنان.. رقية.. إبتسام.. نجوم.

إلى جدي لزهاري.. وأعمامي وعماتي.. وأخوالي وخالاتي.. وأزواج أخواتي.. وأصدقائي الذين لم

يذكروهم قلبي.. ولم ينساهم قلبي.. ومعلم القرآن الذي حقّظني.. وجيراني..

إلى كافة أساتذتي بمعهد العلوم الإسلامية.. وإلى مشرفي حفظه الله.. وإلى طلبة قسم العقيدة.. وإلى

أرواح أجدادي.. وأختي صبرينة نوال التي لم تشهدها عيني.. وشهداء الجزائر الحرة الأبية.

أهدي هذا العمل وأسأل الله أن يكون نبراساً لمن بعدي.

شكر وعرفان

"كن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم"

بعد رحلة بحث وجهد واجتهادات تكللت بإنجاز هذا البحث، أحمدُ اللهَ وَبِحَمْدِهِ وأشكره، على فضله ومنّهِ علينا وعلى نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، فهو وحده سبحانه الموفق للخير والمعين عليه. كما أتقدم بخالص الشكر لوالدي الكريمين اللذين كانا دعماً لي في حياتي العلمية والعملية . كما لا يسعني إلا أن أخص بأسمى عبارات الشكر والتقدير الدكتور "زهير بن كتفي" عرفانا لما قدّمه لي من جهد ونصح ومعرفة طيلة إنجاز هذا البحث، ولم يدخر جهداً في مساعدتي، كما هي عادته مع طلبة العلم، وكنت أجلس معه الساعات الطوال ولا يجد في ذلك حرجاً، بل كان يحثني على البحث ويرغبني فيه، ويقوّي عزمي عليه، فله من الله الأجر والثواب، وله مني كل التقدير والاحترام، حفظه الله وزوجه وأولاده ومتّعه بالصحة والعافية ونفع بعلمومه.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في تقديم يد العون لإنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر مسؤول تخصص العقيدة السابق الدكتور جمال الأشراف، والمسؤول الحالي الدكتور بشير بوساحة، وأتقدم بالشكر إلى أساتذتنا الكرام الذين أشرفوا على تكوين دفعة العقيدة وأخص منهم بالذكر الدكتور معمر قول، والدكتور عبد الرحمان طيبي، والدكتور خالد حباسي، وأشكر كل القائمين على عمادة وإدارة معهد العلوم الإسلامية على رأسهم الدكتور إبراهيم رحامي، والدكتور عبد القادر مهاوات، والدكتور خريف زتون.

أشكر كل زملائي وزميلاتي بدفعة العقيدة 2019، والذين كانوا لي عوناً في بحثي فأناروا دربي. أشكر كل الذين عرقلوا مسيرة بحثي، فلولا وجودهم لما أحسست بمتعة العمل وحلاوة البحث، ولما وصلتُ إلى ما وصلتُ إليه فلهم مني كل الشكر، والحمد لله دائماً وأبداً.

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنُسْتَغِيثُهُ وَنُسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَالَ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71]. وبعد:

1- التعريف بالموضوع:

لقد ظل الفكر الاستشراقي دائما وحتى اللحظة الراهنة يمثل تحدياً كبيراً للمسلمين مشكلاً وجهاً بارزاً لما يُنظر إليه عادة على أنه صراع حضاري بين الغرب والإسلام. وتتجلى فيما تتجلى مظاهر هذا التحدي بما ينتجه من مقاربات إرتيائية وأسئلة تشكيكية وتفكيكية وشبهات متعددة ومختلفة حول الإسلام ومصادره الأصلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فضلاً عن جملة التراث الإسلامي ككل. وقد اتجه العديد من المستشرقين في هذا المساق إلى دراسة العقيدة الإسلامية، من خلال دراسة القرآن الكريم، والسنة النبوية، والسيرة والتاريخ الإسلامي، وزعموا عدم أصالة عقيدة الإسلام باعتمادها على عقائد الأديان السابقة، فقاموا بتفكيكها إلى أجزاء متناثرة وأدخلوا فيها ما ليس منها. ومن هؤلاء المستشرقين نجد المستشرق "جولد تسيهر" الذي يظهر عنده هذا العمل بامتياز خاصة فيما يتعلق بالنبوة وصاحبها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. وقد جاء بحثي هذا في إطار نقدي ليسلّط الضوء على موقف هذا المستشرق من النبوة.

2- أهمية البحث:

ويبدو لي أن أهمية هذا البحث تكمن أساساً في صلته بالدراسات الحداثية المعاصرة حول مصادر الإسلام: القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة خاصة، والعمل على التشكيك فيهما من أجل نزع القداسة عنهما؛ ذلك أنّ أغلب دراسات الحداثيين اليوم تجد نواتها الأصلية فيما طرحه المستشرقون وإن لم يعلن الحداثيون عنها صراحة. صحيح أن الدراسات الحداثية اليوم تشتغل على

أصول الإسلام والتراث الإسلامي عموماً بمناهج وأدوات فلسفية ربما لم تكن متاحة للمستشرقين الأوائل كجولد تسيهر، ولكننا نجدها في الواقع تستلهم مناهجها ورؤاها ومواقفها أساساً من التراث الاستشراقي عموماً الذي يعتبر ابن الحضارة الغربية بامتياز وما أفرزته هذه الحضارة من علوم ومناهج وفلسفات مختلفة. وأعتقد أن هذا المنحى يضيف نوعاً من الأهمية على بحثي هذا.

(3) - إشكالية البحث:

وتمحور إشكالية هذا البحث في محاولة التعرف على موقف جولد تسيهر من النبوة في الإسلام، وبناء عليه فإن السؤال الرئيسي الذي يحاول أن يستشكل البحث يتمثل في الآتي: ما هو موقف جولد تسيهر من النبوة في الإسلام؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي أسئلة جزئية أخرى سنتعرف عليها في صلب البحث تستهدف الحديث عن الاستشراق عموماً، وعن المدرسة الاستشراقية الألمانية خصوصاً، باعتبار أن المستشرق مدار البحث ينتمي إليها، وعن علاقة هذه المدرسة بعلم العقيدة أو بعلم الكلام على الأخص.

(4) - أهداف البحث:

وتظهر الأهداف المرجوة من هذا البحث في محاولة:

- ترسيخ عقيدة الإيمان بنبوة النبي محمد ﷺ، وعن السنة النبوية الشريفة والتمسك بها.
- الدفاع عن النبوة المحمدية، وإبطال ما أثير حولها من مقاربات إرتيابية من طرف المستشرق جولد تسيهر، وتداعياتها على الساحة الفكرية والفلسفية الحديثة في العالم الإسلامي.
- إظهار الحقيقة العدائية التي يكتنحها المستشرق جولد تسيهر للإسلام. وتوضيح أن منهج المستشرقين عموماً هو الاعتماد على النصوص المبتورة لإغفال الحقائق، والتعويل على مصادر ليست في مستوى البحث العلمي.

(5) - الدراسات السابقة:

وقد تبين لي من خلال محاولتي جمع المادة العلمية لهذا البحث العديد من الدراسات والأبحاث التي كتبت للرد على طعون هذا المستشرق في الإسلام ككل سواء ما تعلق منها بالجانب العقدي أو الجانب التشريعي، لكن فيما يخص نبوة النبي محمد ﷺ لم أجد دراسة مستقلة تتحدث عن هذا الموضوع إلا كإشارة في باب من الأبواب أو في فصل من الفصول. ومن بين هذه الدراسات نجد

دراسة حمزة بن عبد المطلب عزيز الموسومة بـ: "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية" وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة بجامعة أم القرى المملكة العربية السعودية كلية الدعوة وأصول الدين، أشرف عليه الدكتور إبراهيم خليفه عبد اللطيف خليفه. وكذا بحث ساسي سالم الحاج المعنون بـ: "نقد الخطاب الاستشراقي"، الذي تكلم فيه عن بعض شبهات جولد تسيهر وناقشها خاصة فيما يتعلق بالإيمان بالله والوحي والسنة. وكذا كتاب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: "دفاع عن العقيدة والشرعة"، وقد أبدى فيه مطاعن جولد تسيهر في النبوة، وناقش تلك المزاعم وردَّ شبهاته وأبطلها. وفي الواقع فقد استفدت من هذه الدراسات خصوصاً ومن غيرها، والتي سوف تظهر من خلال البحث تباعاً، لكن بحثي هذا يختلف عنها باستهدافه موضوع النبوة استقلالاً.

6- أسباب اختيار البحث:

ويعود سبب اختياري لهذا البحث إلى أسباب موضوعية، وأخرى ذاتية. فمن جملة الأسباب الموضوعية: غياب دراسة مستقلة تناقش موقف جولد تسيهر من النبوة، بالإضافة إلى الأثر الكبير لهذا المستشرق في تشويه صورة الإسلام في الفكر الغربي، فضلاً عن تأثيره على غيره من المستشرقين أو حتى على الحداثيين الذين اعتمدوا دراسات المستشرقين كأساس لهم. وأما الأسباب الذاتية فمن بينها: حرصي على تثبيت العقيدة الصحيحة وبيانها، كوني أمثلُ تخصصي الذي توجهت إليه. إضافة إلى النزعة العدائية للإسلام التي أُحْمِلُها لهذا المستشرق، والتي باتت تظهر اليوم بما يصطلح عليه في الأوساط الإعلامية والفكرية بـ"الإسلاموفوبيا"، حيث بدأت أتحسسها منذ سنوات مضت من خلال البحوث الصفية التي كنت اشتغل عليها حول هذا المستشرق في مرحلة الليسانس، فرأيتُ ما يحمله من عداوة للإسلام وكذب وافتراءات حول أصوله الإيمانية.

7- منهج البحث:

وقد فرضت علي طبيعة هذا البحث اعتماد جملة من المناهج وظفتها في مظانها من البحث أهمها:

أ- **المنهج الوصفي التحليلي:** اعتمدته في وصف ظاهرة الاستشراق، وكذا في الاختلافات الحادثة في مفهومه، وفي وصف المراحل التاريخية التي مر من خلالها الاستشراق، وكذلك في المراحل التي مرَّ بها الاستشراق الألماني وفي وصف المدرسة الاستشراقية الألمانية، وما تميزت به عن غيرها من مدارس الاستشراق الأخرى، وعلاقتها بعلم الكلام الإسلامي. كما اعتمدته أيضاً في التعريف بالمستشرق

جولد تسيهر من خلال عرض ميلاده ونشأته العلمية ووفاته، وفي المراحل التاريخية التي أَلَفَ فيها مصنفاته ومنهجه فيها.

(ب)- **المنهج الاستقرائي:** ويظهر هذا المنهج جلياً في استقراء وتتبع ومحاولة استقصاء نصوص جولد تسيهر في مظانها الأصلية خاصة من خلال كتابيه: "العقيدة والشريعة" و"مذاهب التفسير الإسلامي".

(د)- **المنهج النقدي:** اعتمدت هذا المنهج في الرد على الشبهات التي أثارها جولد تسيهر حول النبوة، من خلال نقد ما جاء من أقواله ومزاعمه في حق النبي ﷺ والطعن فيه، وفي رسالته.

(8)- صعوبات البحث:

وقد واجهتني في إطار عملي هذا جملة من الصعوبات من أهمها:

- صعوبة الإمام بالموضوع من جميع جوانبه.

-صعوبة الحصول على ترجمة بعض المراجع الغربية المتحدثة عن هذا الموضوع، خاصة أن معظمها مكتوب بغير الإنجليزية أو الفرنسية، فهي إمّا بالفارسية أو الألمانية أو العبرية.

-صعوبة الحصول على المراجع ذات الرسوم الباهظة والمكلفة في التّحميل على صيغة pdf، وتحمل شرائها عن طريق الدفع بالاشتراك عن طريق الشبكة العنكبوتية.

(9)- خطة البحث:

هذا، وقد اعتمدت خطة لبحثي احتوت على مقدمة ومبحثين وخاتمة كآآتي: المقدمة احتوت على المضامين الأساسية لأي مقدمة في بحث علمي كالتعريف بالموضوع وأهميته وإشكاليته وغيرها من المفردات الأخرى المعروفة. والمبحث الأول جاء بعنوان: الاستشراق والاستشراق الألماني. وقد تضمن ثلاثة مطالب: المطلب الأول: حول مفهوم الاستشراق وتاريخ نشأته، والمطلب الثاني: عن الاستشراق الألماني وعلاقته بعلم الكلام، والمطلب الثالث هو عبارة عن ترجمة موجزة للمستشرق جولد تسيهر. وأما المبحث الثاني فقد تطرقت فيه إلى النبوة عند جولد تسيهر وموقفه منها ورد العلماء عليه. وقد تضمن مطلبين: المطلب الأول: حول موقف جولد تسيهر من النبوة، والمطلب الثاني: عن الرد على مطاعن جولد تسيهر في النبوة. وبالنسبة للخاتمة فقد حاولت فيها الإجابة عن إشكالية البحث ورصد أهم النتائج المتوصل إليها.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

المبحث الأول

الاستشراق والاستشراق الألماني

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق وتاريخ نشأته

المطلب الثاني: الاستشراق الألماني وعلاقته بعلم الكلام

المطلب الثالث: ترجمة موجزة للمستشرق جولد تسيهر

الاستشراق والاستشراق الألماني

في هذا المبحث سأحاول أن أتحدث عن مفهوم الاستشراق والاختلافات الواردة في مفهومه وكذا في تاريخ نشأته؛ وعن الاستشراق الألماني وتاريخ نشأته وخصائص المدرسة الاستشراقية الألمانية، ومدى العلاقة التي تربط علم الكلام الإسلامي بدراسات المستشرقين الألمان؛ كما سأتناول المستشرق جولد تسيهر كنموذج للمدرسة الاستشراقية الألمانية، وأوضح من خلال ذلك الاختلافات الواردة في تسمية هذا المستشرق والمنهج الذي اتبعه في دراسته الاستشراقية، وقد جاء هذا المبحث كتمهيد لدراسة صلب الموضوع؛ وسيأتي تفصيل دراسة هذا المبحث في المطالب الآتية.

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق وتاريخ نشأته

أولاً: مفهوم الاستشراق

يحيل الجذر اللغوي العربي الذي اشتقت منه كلمة "استشراق" و "مستشرق" إلى الشرق باعتباره جهة، ومن هذا قوله في اللسان: الشرق: هو الجهة التي تشرق منها الشمس ويقال شرقت الشمس إذا طلعت¹ والتشريق: الأخذ في ناحية الشرق¹، وتعين الجهة كذلك أصلاً في معاني كلمة *orientalisme* و *orientaliste* في اللغات الأوروبية.

وفي ترجمة مصطلح "*orientalisme*" نجد تسامحاً كبيراً من طرف المترجمين، والذي مرده إلى "شرق شناسي"² (الاستشراق) لأن اللاحقة "al" تدل على معرفة الأشياء التي ترتبط بالشرق وتتصل به، وليس معرفة "بلاد الشرق" إلا إذا اعتبرنا أن مفهوم كلمة "شرق" أعم من البلدان وكل ما يتعلق بها. أما مصطلح "*orientaliste*" أول ما استخدمته هاته الكلمة في مطلع عام 1766م في موسوعة لاتينية لوصف الأب بولينوس³، أو كما قال بعض الكتّاب عام 1779م، أو كما قال كذلك بعض المترجمين عام 1780م في إنجلترا⁴، ثم انتقلت من اللغة الإنجليزية إلى اللغة الفرنسية عام 1799م، ودخلها معجم الأكاديمية الفرنسية⁵ كان عام 1838م، وكان دخولها معجم أكسفورد عام 1812م⁶.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ط 1، بيروت، دار صادر، (د ت)، ج 10، ص 173.

² - كتاب بعنوان علم الشرق مؤلفه البروفسور إدوارد سعيد وهو أحد الكتب الجامعة والقوية التي كتبت حول موضوع الاستشراق.

³ - ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية، ط 2، مركز دراسات العالم الإسلامي، 1993م، ص 292.

⁴ - إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د. محمد عناني، ط 1، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2006م، ص 16.

⁵ - محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، (د ط)، القاهرة، دار المعارف، 1119م، ص 20.

⁶ - محمد حسن زماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم، ط 1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2010م، ص 42.

اعتبر بعض خبراء الاستشراق أنه يستحيل وضع تعريف دقيق وجامع مانع للاستشراق، ويرجع السبب في ذلك إلى وجود مظاهر متنوعة للاستشراق في مراحل تاريخية مختلفة ومناطق متعددة، أدى ذلك بالكتاب إلى تعريف الاستشراق بتعريف خاص يتطابق مع مشاهداته ومعلوماته، ولذلك تفاوتت تعريفاته وتكاثرت، فاستُحيل توحيد تعريفه.

ومن منطلق تعدد التعاريف المختلفة للاستشراق نجد الكتاب قد وضعوا تعريفات على حسب حدود مختلفة، فمنهم من وضع حدودا جغرافية، ومنهم من وضع حدودا معرفية كما يلي:

1- حدود الاستشراق الجغرافية:

أ- إن أضيق حدود للاستشراق وردت في معجم أكسفورد، إذ جعل هذا المعجم الحدود الجغرافية للشرق الأقصى - أي الصين واليابان - هي هدف الاستشراق، ومنه فإن من المعاني الشائعة لكلمة "orientaliste" الإنسان الياباني والصيني¹.

ب- إن أوسع حدود عُرِفَت كساحة للاستشراق عند الغربيين هي التي تشمل كل دول الشرق وآسيا والشرق الأوسط والشرق الأقصى والشرق الأدنى وهي التي تقع في شرق أوروبا والبحر الأبيض المتوسط، سواء كانت دول إسلامية أو غير إسلامية، تماما كما تعرفها دائرة معارف نيوجيرسي الأمريكية المفصلة بقولها:

To the East and sea of the, "The countries" Mediterranean" ²

ج- وأحدث حدود جغرافية للاستشراق هي حدود الاستشراق الجغرافي الديني فقد قام مستشرقون بعمل أبحاث استشراقية بدافع ديني تبشيري للمسيحية أو اليهودية، وأحيانا بدافع استعماري مناهض للإسلام، ووضعوا الحدود الجغرافية لعلم الأرض جانبا، وأحلّوا محلها الحدود الجغرافية الدينية، وتطلّعوا فقط إلى البلاد التي يقطنها المسلمون.

يعرف مكسيم رودنسون¹، الاستشراق بقوله: "هو التوجه العلمي للبحث حول البلدان الإسلامية في الشرق وحضارتها"².

¹ - المرجع السابق، ص 42.

² - Noah Webster, webster's encyclopedic unabridged dictionary of English language illustrée- révisée, gramercy books, 1996, p 1693.

د- ومع أن وجود كلمة "الشرق" في هذا التعريف يعبر عن حدود منطقة جغرافية فإنه يمكن عن طريق التأكيد على القيد "الإسلامية" إدراك أنه حيثما وُجد هذا المعيار والهدف من الاستشراق، فإن ذلك يقتضي وجود عمليات للاستشراق هناك، وعلى هذا الأساس فإنه يضع كل بلاد المسلمين في العالم وحتى في إفريقيا وأوروبا وأمريكا أيضا موضع دراسة المستشرقين المتأخرين وبجتهن، وبهذا الشكل سوف يتم رسم نوع من الحدود الجغرافية للاستشراق³.

(2) - حدود الاستشراق المعرفية:

إن المستشرقين باختلاف عصورهم وانتماءاتهم المتنوعة لمدارس الاستشراق المختلفة، كانت لهم وجهات نظر متعددة للشرق، حيث أن كل جماعة منهم تبحث في موضوعات خاصة عن الشرق وتدرس عنها، وبذلك اختلفت تعريفاتهم للاستشراق والمستشرق ومن تلکم التعاريف:

أ- المعلومات التاريخية والجغرافية عن الشرق: وهو الذي يهتم بدراسة وبحث عدد القرى والمدن في كل بلد شرقي، وكذا التضاريس الجغرافية، وتاريخ حضارة تلك البلدان.

ب- لغات الدول الشرقية وفنونها وخصائصها الأخرى: يعرف معجم "أكسفورد" المجال العلمي للاستشراق على أنه "لغات وفنون" الشرقيين ثم يعرفه بأنه الخصائص الأخرى لدول الشرق ويعرف المستشرق بقوله: The Person who studies the languages, arts, etc of the oriental countries.

ج- كل علوم الشرقيين وفنونهم وحضاراتهم: وهذا التعريف يحوي أكبر مساحة لعلم الشرق ويشمل كل ما يتعلق بـ : اللغات الشرقية، وعلم الجغرافيا الخاص بتعداد السكان لمدن الدول الشرقية وقراها، والأجناس والأعراق، والقبائل، وأنواع اللهجات، والعادات والتقاليد القومية، وتاريخ تطور التحضر والحرفات، والإنجازات العلمية، والمعتقدات، والأديان، والمذاهب، والمدارس الفكرية، وأنواع

¹ - مكسيم رودنسون (1915-2004م): من أساتذة الدراسات العليا بباريس، ثم مديرها؛ له اشتقاق المربع، وحياة محمد والمشكلة الاجتماعية المتعلقة بأصول الإسلام، ولدراسة الصلات بين الإسلام والشيوعية. أنظر: نجيب العقيلي، المستشرقون، ط 3، مصر، دار المعارف، 1964م، ج3، ص 328-329.

² - محمد حسن زماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ص 43.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الحكومات، ومعنويات سكان البلدان الشرقية، ولعل هذا المفهوم هو المفهوم العام والسائد في المراكز العلمية والكليات والأقسام المتخصصة في الاستشراق وفي العالم¹. يقول البستاني: "الاستشراق هو العلم باللغات والآداب والعلوم الشرقية"² يقول منير البعلبكي أيضا: في تعريف المستشرق بقوله: "orientaliste" المستشرق والدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته³. دائرة المعارف نَحَتْ هذا النحو والتي لها نفس المفهوم العام (أحوال أهل الشرق وطريقة تفكيرهم وخصائصهم) فتقول:

1- "Peculiarity or idiosyncrasy of the oriental peoples"

2- "The character of I"⁴

أي الصفات الخاصة ومميزات فكر أهل الشرق وطريقته وكذلك سيرتهم وتركيبتهم. ومن التعريفات السابقة، يظهر أن حركة الاستشراق في بدايتها كانت تركز على المعلومات الجغرافية والتاريخية ولغات الأمم الشرقية، إلا أنها حوت أكثر من ذلك بالتدرج كل الشؤون الثقافية من أديان ومذاهب ومعتقدات وحضارات، لذلك مصطلح "مستشرق" يُطلق على الشخص الذي تتوفر لديه مجموعة من هذه المعلومات أو جزء منها على الأقل.

د- علم الإسلام أو الدراسات الإسلامية: يعد هذا العلم جزءا من علم مهم هو الاستشراق، وقد ركزت العديد من الدراسات الاستشراقية بحوثها حول "علم الإسلام" ودراسة القرآن ومعرفته، وتاريخ السنة النبوية والأحاديث ونبوة النبي محمد ﷺ، والخلفاء والأئمة وأئمة المذاهب بالإضافة إلى العقيدة والفقه والأخلاق والتصوف الإسلامي⁵.

وبناء على جملة التعاريف السابقة يمكن أن نضع مفهوم الاستشراق بين حدين أحدهما عام والآخر خاص.

1 - محمد حسن زماي، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ص 44.

2 - كرم البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة 41، بيروت، دار المشرق، 1956م، ص 384.

3 - منير البعلبكي، المورد قاموس إنجليزي عربي، ترجمة وتحقيق: منير البعلبكي، ط 1، دار العلم للملايين، 2005م، ص 638.

4 - Webster's, référence, p 1693.

5 - محمد حسن زماي، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ص 46.

فالتعريف العام والجامع: ينص على أن الاستشراق هو مجموعة جهود علمية للغربيين تهدف إلى التعرف على الدول الشرقية وظروفها الجغرافية والتاريخية ومعرفة آدابها ولغاتها، ونقاط الضعف عند أهل المشرق، من الشرق الأقصى حتى الشرق الأدنى، ومن شرق البحر المتوسط حتى البلدان الإسلامية الأخرى الواقعة في شمال إفريقيا ومناطق أخرى من العالم، والهدف من ذلك السيطرة على المشرق وخدمة وتأمين مصالح الغربيين¹.

أما التعريف الخاص للاستشراق: ينص على أن الاستشراق هو العلم الذي يخضع لنقد علماء الإسلام ووجهات نظرهم الذي تقوم عليه الدراسة الحالية، والذي يمثل جهود الغربيين في دراسة علم الإسلام والكتابة فيه من غير المسلمين².

وكخلاصة لتعريف مصطلحي "الاستشراق" و "المستشرق" يمكن القول:

الاستشراق: "هو تعلم علوم الشرق الإسلامي، وتطلق كلمة الاستشراق على الدراسات التي يقوم بها غير المسلمين - من اليهود والنصارى ونحوهم- للدين الإسلامي، وعلوم المسلمين، وتاريخهم، ولغاتهم، وأوضاعهم السياسية والثقافية والاجتماعية"³.

والمستشرق: "هو العالم الذي يشتغل بتلك الدراسات، وأغلب المستشرقين يهدفون من دراستهم تشكيك المسلمين في معتقداتهم وتراثهم التاريخي والفقهية، وإضعاف روح المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين"⁴.

ثانيا: تاريخ نشأة الاستشراق:

إن المتعمق في تاريخ الاستشراق سيجد أن جذوره تمتد إلى الصدر الأول من الإسلام، متمثلاً باليهود والنصارى الذين لم يألوا جهداً من أجل محاربة هذا الدين، وذلك بالطعن فيه والهمز واللمز في أحكامه وتشريعاته، واتهام الرسول ﷺ بالمجنون والساحر والشاعر⁵، يقول الله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: 5]، ويقول جلّ ذكره عنهم أيضاً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ

¹ - المرجع السابق، ص 48.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 18.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ - فالخ بن محمد بن فالخ الصغير، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، (د ط)، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الشريف، (د ت)، ص 10.

كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ [الفرقان: 4-5] وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر: 24-25].

وقد اتخذ هؤلاء المشركون سبلاً كثيرة للطعن في هذا الدين لإعراض الناس عنه، فتارة يحرفون آياته وتارة يكتمون الحق وهم يعلمون، وأخرى يشككون فيه بالطعن في الوحي نفسه، يقول الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75]. ويقول جل ذكره: ﴿وَأْمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ﴾ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 41-42].

وكثيراً ما كان يتبع المشركون سبيل الدخول في الإسلام لفترة وجيزة ثم الارتداد عنه ليبين للناس أنهم جربوا هذا الدين؛ لأنه غير نافع وغير صحيح، لإخراجهم إلى ظلماتهم وضلالهم، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: 72].

هذه المواقف والأفعال لم تكن ذات أبعاد إنسانية أو إيجاد الخير للناس وإظهار الحق واتباعه، وإنما كانت جميعها منصبة ليردوا الناس عن دينهم ويتبعوا دياناتهم المنحرفة، يقول الله تعالى فيهم: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: 105]. ويقول أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 100].

وكل هذه الوسائل وغيرها اتبعها المشركون للصد عن دين الله، واستخدمها المستشرقون في نشاطاتهم الفكرية والثقافية، وهذا يعني حقاً أنهم امتداد لذلك التيار المعارض والمحارب لدين الله تعالى في بداية ظهوره.

إلا أن نشوء الاستشراق في القرون المتأخرة ليس له تاريخ محدد ومعلوم، وإنما بدأ تأسيسه عندما حاول بعض الرهبان الغربيين السفر إلى الأندلس ودرسوا القرآن والكتب العربية وترجموها إلى لغاتهم، وذلك بالاستعانة بالعلماء المسلمين في الطب والفلك والفلسفة والرياضيات وغيرها، ومن أوائل هؤلاء

الغريين الراهب الفرنسي "جرير"¹ الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام 999م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، وكذلك "بطرس المحترم 1092-1156م" ثم أخذت بعد ذلك حركة الاستشراق تنمو في أطراد مستمر حتى سنة 1311-1312م، حيث عقد مؤتمر فينا الكنسي، وكان من أهم قراراته إنشاء كرسي للغة العبرية والعربية في معظم جامعات أوروبا، فتأسس كرسي اللغة العربية في روما على نفقة الفاتيكان، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي إكسفردي على نفقة ملك إنجلترا، ويعتبر كثير من المؤرخين لحركة الاستشراق أن هذا المؤتمر هو البداية المنظمة وشبه الرسمية للاستشراق، وما كان قبل ذلك إنما كان بمثابة الإرهاص لميلاد هذه الحركة، وتبع ذلك انتشار المدارس والمعاهد الاستشراقية المعنية بدراسة الشرق وعلومه الإسلامية بصفة خاصة².

«وبعد عودة هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا هذه الثقافة التي ارتأوها من الأندلس في بلادهم واستفادوا منها قرابة ستة قرون تقريباً، من حيث دراسة اللغة العربية وترجمات القرآن الكريم وأمّهات الكتب والمراجع العربية العلمية، إلى أن جاء عهد الاستعمار في القرن الثامن عشر، على العالم الإسلامي، للاستيلاء على خيراته وثرواته المادية والثقافية، فقد ظهرت فئة من هؤلاء الغربيين الذين تفرغوا تماماً بالتعاون مع الاستعمار لنهب ثروات العالم الإسلامي العلمية والفكرية، والمتمثلة بالدرجة الأولى في الكتب والمخطوطات القيمة بأجناس الأثمان، مستفيدين من الفوضى العارمة في العالم الإسلامي، حتى بلغ عدد هذه المخطوطات والوثائق العلمية في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلداً، والعدد يتزايد يوماً بعد يوم»³.

وقد عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873م، وكان بداية لعشرات المؤتمرات التي بدأت تدرس أحوال العالم الإسلامي وطرائق الوصول إلى ثرواته، ودراسة نقاط الضعف والقوة فيه، مستعينة بالقوى الاستعمارية الكبرى، ولا تزال هذه المؤتمرات والندوات في أوجها حتى هذا العصر، والتي كانت من إحدى نتائجها الحرب الحالية على العالم الإسلامي، ومحاولة مسح الهوية الإسلامية

¹ - جرير (930-1003م): واسمه البابا سلفستر الثاني بابا فرنسي، وهو البابا رقم 146، وأول بابا فرنسي يخلف أول ألماني، والبابا الوحيد الذي تعلم العربية وأتقن العلوم عند العرب وعلى أيدي العرب في إسبانيا. أنظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط 3، بيروت، دار العلم للملايين، 1993م، ص 178.

² - محمد السيد الجليلند، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، (د ط)، القاهرة، دار قباء للنشر والتوزيع، 1999م، ص 15.

³ - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، (د ط)، دار الوراق - المكتب الإسلامي، 2011، ص 17-18.

من الوجود وذلك باتهام المسلمين ومصادر تشريعهم، ولكن أتى لهم ذلك، وقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] . ويقول عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32]. وهذه المحاولات الجادة لتشويه صورة الإسلام والنيل منه تحتم على المختصين من أبناء المسلمين اليقظة والوعي والدراسات الجادة للقيام بمهمتهم، والسعي لنشر دينهم والحفاظ على مصادر تشريعهم¹.

ومنه يلاحظ أن الاستشراق بدأ أولى خطواته في رعاية الكنيسة، وأن الجيل الأول من المستشرقين كان من الرهبان والقساوسة، ومازال بعضهم حتى الآن من رجال اللاهوت، وأنّ روح التعصب والأفكار الكنسية، والنظرة إلى الإسلام نظرة غير موضوعية، هي التي قادت الفكر الاستشراقي عبر تاريخه الطويل حتى العصر الحاضر². وبناء عليه يمكن تقسيم المراحل التاريخية للاستشراق عموماً على النحو التالي:

- المرحلة الأولى: وتبدأ بعد فتح الأندلس وازدهار الحياة العلمية فيها، وكذلك جزر البحر المتوسط وجنوب إيطاليا، وتنتهي هذه المرحلة بانتهاء الحروب الصليبية.
- المرحلة الثانية: وتبدأ بعد الحروب الصليبية، وتمتد إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً.
- المرحلة الثالثة: وقد بدأت في منتصف القرن الثامن عشر - على وجه التقريب - واستمرت إلى نهاية الحرب العالمية الثانية.
- المرحلة الرابعة: وبدأت بعد الحرب العالمية الثانية، ومازالت مستمرة حتى الآن بتسميات أخرى مختلفة ومتعددة، في ظل أصبح مصطلح الاستشراق مستبعداً إلى أبعد الحدود.

المطلب الثاني: الاستشراق الألماني وعلاقته بعلم الكلام الإسلامي

أولاً: تاريخ الاستشراق الألماني:

لم يبدأ الاستشراق الألماني بدايته الحقيقية، إلا في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي ، عندما قصد نفر من الألمان هولندا، حيث تعلموا اللغات الشرقية، ولما عادوا إلى بلادهم، علموها في جامعاتهم، وأخرجوها من نطاق التوراة إلى ميدان الثقافة العامة³، ولم يشارك العلماء الألمان في الدراسات العربية

¹ - فالخ بن محمد، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، ص 12-13.

² - محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي تأريخه وتقويمه، ط 1، لبنان، مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي، 1416هـ - 1996م، ص 27.

³ - صلاح منجد، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ط 1، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1998م، ص 7.

اشتركا فعليا إلا بعد أن توغل الأتراك في قلب أوربا، وبدأت أوربا تهتم بدراسة لغات العالم الإسلامي لأسباب سياسية واهتم أمراء العالم المسيحي بشراء المخطوطات الشرقية لبناء دعامة في دراسة تلك اللغات، وقدم كريستمان (1554-1613م) Jacob Christmann أول محاولة في ألمانيا لتدريس اللغة العربية ونشرها، ووضع فهرسا مختصرا لمجموعة من المخطوطات اقتناها أحد النبلاء الألمان كذلك ألف كتبيا لتعليم الحروف العربية، وجمع بعض آيات الإنجيل المترجمة إلى العربية للتمرن على القراءة بل إنه أعد بنفسه الحروف العربية في قوالب من الخشب للمطبعة¹.

وتشير المصادر على أن بداية علاقة الألمان بالعالم الشرقي كانت في فبراير سنة 1633م حين أرسل الدوق فريدريش الثالث دوق شليفيرج هولشتين وجوتروب في أثناء حرب الثلاثين² مجموعة من أربعة وثلاثين رجلا إلى فارس وروسيا كي تتحالف مع الإمبراطور بفارس ضد الأتراك ودامت الرحلة خمسة أعوام ولكنها لم تتحقق الغرض المرجو منها وإن كانت أدت إلى إقامة جسر ثقافي عبرت عليه أوروبا والألمان بخاصة إلى الحضارة الشرقية³، وقد ساعدت النهضة الفكرية في أوروبا بالقرنين السابع عشر والثامن عشر في تحرير دراسة اللغة العربية من كل قيد، وفي مقدمتهم في هذا المجال ريسكه⁴ Reiske.j 1716 - 1774م أول مستشرق ألماني وقف حياته على دراسة اللغة العربية في جامعة لايبزج، وجوستاف تيخسن⁵ Tychsen,o.G 1734-1815م في جامعة روستوك. ولما اتصلت ألمانيا بالشرق سياسيا وتجاريا تشبهت بالنمسا وفرنسا، وأنشأت على غرارها مدرسة للغات الشرقية في برلين 1887م وجمعت مخطوطاتها في مكتباتها⁶.

¹ - الرؤوف محمد عوني، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2004، ص23.

² - حرب الثلاثين عاما: هي حرب قامت بين عامي 1618-1648م، وحدثت وقائعها في أراضي ألمانيا بسبب صراع ديني بين الكاثوليك والبروتستانت، إلا أن التنافس بين أسرة هابسبورج والقوى المركزية الأخرى في أوروبا على حكم الدول الأوروبية كان المحرك الأساسي لفتنه هذه الحرب. أنظر: علا عبيات، "حرب الثلاثين عاما"، موقع موضوع، 22 يونيو 2017، الساعة 8:06، <https://www.mawdoo3.com> اطَّلِع عليه يوم: 2019/05/23.

³ - الرؤوف محمد عوني، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ص 23.

⁴ - ريسكه (1716-1774م): مستشرق ألماني من الرعييل الأول وعالم باليونانيات انظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 298.

⁵ - جوستاف تيخسن (1734-1815م) أستاذ العربية في روستوك. وقد عاون على حل الخط المسماري. من مصنفاته ساعات فراغ 1766م أنظر: العقيقي، المستشرقون، ج 1، ص 694.

⁶ - صلاح منجد، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ص 7.

ولنستوضح أكثر عن واقع الدراسات الإسلامية في ألمانيا و دول أوروبا وبداياتها من الأفضل أن نعرف ذلك من المستشرقين أنفسهم ففي حوار مع المستشرق الألماني "هارتموت بوبتسين" أوضح ما المقصود بمصطلح الدراسات الإسلامية في ألمانيا وأوروبا، فقال: "أبادر منذ البداية إلى القول بأن ما يقصد بمصطلح العلوم الإسلامية، لا في ألمانيا فحسب وإنما في أكثر البلدان الأوروبية، هو الناحية اللغوية فقط أو يسمى بفقه اللغة philology"، وذلك لأن إتقان اللغات الشرقية بشكل عام، يساعد على الاطلاع على التراث الإسلامي عن كثب ويعد في الوقت نفسه المفتاح الأساسي لفهم الحضارة الإسلامية المتكاملة. أمّا ما يتعلّق بدراسة الدين والعلوم الإسلامية المختلفة كالقرآن الكريم والحديث والتفسير والفقه فإن ذلك جاء متأخراً ولم يبدأ بالمعنى التخصصي للكلمة إلا في بداية القرن العشرين¹. وأوضح أن واقع الدراسات العربية في الجامعات الأوروبية يختلف من بلد إلى آخر. وخص بالذكر ألمانيا فقال: "أمّا في ألمانيا فقد كانت دراسة اللغة العربية في هذه الفترة مرتبطة بدراسة اللغة العبرية القديمة والسريانية في إطار ما كانوا يسمونه بفقه اللغات المقدسة "Sacra philologi" لأن البروتستانت في ألمانيا صبّوا اهتمامهم بالدرجة الأولى على دراسة الكتاب المقدس وترجماته القديمة المختلفة ومنه العربية والسريانية والقبطية"²

ويمكن من حديث هارتموت أن نستنتج ما يأتي:

1- أن مفهوم الاستشراق لديهم كان بدايةً هو الاهتمام بالناحية اللغوية فقط يسمى بفقه اللغة (philologie) وأمّا ما يتعلّق بدراسة الدين والعلوم الإسلامية المختلفة كالقرآن الكريم والحديث والتفسير والفقه... إلخ، فإن ذلك جاء متأخراً ولم يبدأ بالمعنى التخصصي للكلمة إلا في بداية القرن العشرين.

2- إن واقع الدراسات العربية في الجامعات الأوروبية يختلف من بلد إلى آخر حسب اهتمامات كل دولة.

3- إقراره بوجود أهداف استعمارية من دراسة الشرق، ولكنه لا يعده هو السبب الوحيد لذلك، وهذا أوافقه فيه كأغلب الدراسات عن الاستشراق التي ترى هذا أيضاً.

¹ - حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين، أجراه الدكتور ظافر يوسف، "الاستشراق الألماني إلى أين؟": مجلة التراث العربي، العدد 68، 1418هـ - 1997م، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص 134.

² - المرجع نفسه، ص 135.

وفضلاً عن ذلك فقد قام المستشرقون الألمان بتأسيس الجمعيات والمكتبات، وإصدار المجلات، فمن الجمعيات والمجلات على سبيل المثال لا الحصر:

1- الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية، أسسها مارتن هارتمان¹ 1851-1918 م وأصدر لها مجلة عالم الإسلام سنة 1913 م.

2- الجمعية الشرقية الألمانية DMG، التي أسسها فلايشر² 1801-1888 م في مدينة هاله سنة 1845 م.

3- المجلة الشرقية الألمانية 2DMG، وكان تأسيسها في مدينة فيسبادن سنة 1847 م.

4- مجلة الإسلام، وقد أنشأها الوزير كارل هينريش بيكر³ 1876-1933 م لصالح الجمعية الشرقية الألمانية 1920 م.

5- مجلة إسلامكا. إسلاميات، وقد أنشأها فيشر في مدينة لايبزغ سنة 1920 م⁴.

إن الصفة البارزة للاستشراق الألماني أنه لم يزدهر نتيجة للاستعمار- كما هو الحال في إنجلترا وفرنسا وهولندا- أو يرتبط بأهداف دينية تنصيرية كسواه؛ فهو يمتاز بالموضوعية والعمق⁵.

ثانياً: خصائص الاستشراق الألماني

هناك نقطتان جديرتان بالاهتمام يثيرهما كثير من الباحثين الذين تعرضوا لدراسة الاستشراق الألماني وهما:

¹ - مارتن هارتمان (1851-1918م): ولد في برسلاو، وبدأ دروسه الاستشراقية بجامعة 1869 وأتمها في لايبزغ على فلايشر، وأحرز الدكتوراه 1874م وقام برحلة إلى أدرنة. ثم عين مترجماً ومستشاراً للقنصلية الألمانية في بيروت 1876-1887؛ استدعته ألمانيا أستاذاً للسريانية والدراسات الإسلامية في مدرسة اللغات الشرقية ببرلين 1887م. أنظر: العقيلي، المستشرقون، ج 1، ص 725-726.

² - فلايشر (1801-1888م): مستشرق ألماني، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة درسن في ألمانيا 1826م، مؤسس الدراسات العربية في ألمانيا أنظر: العقيلي، المستشرقون، ص 706-707.

³ - بيكر (1876-1913م): ولد في أمستردام، وتخرج باللغات الشرقية من جامعاتها، على يد أساتذتها، وعُيِّن أستاذاً لها في هامبورج 1908م، اشتهر بدراسته للتاريخ الإسلامي. انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 113-116، العقيلي، المستشرقون، ج 1، ص 745-746.

⁴ - رائد أمير عبد الله: "المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية"، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد (1/15)، 1435هـ-2014م، قسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الموصل، ص 8.

⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1- أن الألمان لم يكن لهم مستعمرات في البلاد العربية ، ولذلك نجا مستشرقوهم من الخضوع للسياسة.

2- أن الألمان لم يحاولوا التنصير ، ولذلك نجا مستشرقوهم من العبث بالتاريخ الإسلامي .

وهاتان النقطتان توقف عندهما كل من الباحث ساسي سالم الحاج و الباحث محمد فتح الله الزيايدي فذكرا عنهما أنهما لا يستندان على أساس علمي. فالباحث ساسي سالم الحاج يرى أنها ليست صحيحة في إطارها العام لأن الاستشراق الألماني كان مبعثه تحقيق الأهداف الدينية وقد نشأ في بدايته لهذا الغرض خاصة عندما وقف جهده على دراسة التوراة واللغة العبرية بالإضافة إلى مساهمات الألمان في الحروب الصليبية وخاصة الحملة الثانية منها، علماً بأن المستشرقين الألمان في القرن الثامن والتاسع عشر اهتموا بتحقيق الأغراض السياسية لبلادهم. فهذا بارت¹ كثيراً ما يورد في ثنايا كتابه "الرحلات" عن الآفاق التجارية والاقتصادية التي يمكن للحكومة البريطانية جنيها من وراء توغلها في أفريقيا الوسطى وكثيراً ما استشهد ببعض الاضطرابات السياسية التي كانت تسود الممالك الأفريقية ويصفها بأنها أصبحت جاهزة للانقضاض عليها، وأن ألمانيا لم تتعفف عن استعمار البلاد العربية والمشرق لكن الظروف الدولية منعتها من ذلك². وكذلك هذا ما يراه محمد فتح الله الزيايدي، فاعترض على هذا الأمر للأسباب الآتية:

1- ما ثبت، بصورة قطعية، أن للألمان جمعيات تنصيرية، وأنهم يقومون بدعم حركة التنصير مادياً ومعنوياً، وأن أحد أهم مؤتمرات التنصير وهو ما يسمى بالمؤتمر الاستعماري قد عقد في ألمانيا.

2- ما تؤكد بعض المصادر من تتلمذ كثير من المستشرقين الألمان الرواد على أيدي مستشرقين فرنسيين وبالأخص "دي ساسي" وهو شخصية يعرف الكثيرون دورها في المجال الديني.

3- ما جاء في محاضرة عن الاستشراق الألماني لمستشرقة ألمانية قالت فيها إن الاستشراق الألماني في القرن السابع عشر تحرر من تأثير الدين³.

¹ - رودى بارت (1901-1983م): مستشرق ألماني، ترجم القرآن إلى الألمانية مع شرح فيلولوجي. عُيِّن مدرسا مساعدا في

قسم الدراسات الشرقية في جامعة توينجن بألمانيا. انظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 62.

² - ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ص 134.

³ - محمد فتح الله الزيايدي، الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، ط 1، دار

قتيبة، 1426هـ - 1998م، ص 76.

وأهم خصائص المدرسة الاستشراقية الألمانية هي أنها:

- امتازت بغلبة الروح العلمي على أبحاثها، والتي تتسم غالباً بالموضوعية والتجرد والإنصاف. وهذه الروح مبعثها امتياز الشعب الألماني بالخصال المميزة كالدقة العالية التي جُبلوا عليها، والعناية الفائقة، والصبر الجميل، وإتباع المنهج العلمي الصارم بأعلى المقاييس العلمية المتعارف عليها¹.
- اتصف المستشرقون الألمان بالتفاني في العمل والصبر والمثابرة، فمنهم من فقد بصره مثل فيستنفلد²، ومنهم من أفنى عمره باحثاً ومنقبا ودارسا حتى إن يوهان رايسكه سمي شهيد الأدب العرب³.
- مساهمتها في نشر الثقافة الإسلامية، وبيان الحضارة العربية وذلك لما نشرت من نصوص قديمة ساعدت على نشر آلاف من أمهات الكتب العربية والإسلامية، بدرجة يستحيل معها، كما يقول المنجد، أن يخرج مجمع علمي ما أخرجه مستشرق واحد، وجعلتها ميسرة للمثقفين الغربيين⁴.
- مساهمتها في مجال فهرسة المخطوطات العربية والإسلامية، وطال عمل المستشرقين في ذلك، حتى إن بروكلمان⁵ مثلاً استغرق نصف قرن في وضع كتابه (تاريخ الأدب العربي). وقيامها بتصنيف العديد من المعاجم العربية، واهتمامها بالدراسات المختلفة في ميادين الثقافة الإسلامية⁶.
- اهتمامها بعد الحرب العالمية الثانية بأحوال الوطن العربي ودراسته من جميع جوانبه⁷.
- تميزها بالجو العلمي المتكامل في أوروبا و التعاون الوثيق بين العلماء والمستشرقين في الجامعات الأوروبية⁸.

1 - المرجع السابق، ص 134.

2 - فيستنفلد (1808-1899م): مستشرق ألماني، تخرج باللغات الشرقية من برلين، ثم أصبح من مشاهير أساتذتها، تخصص في التاريخ والأدب، من آثاره نشر "سيرة ابن هشام". انظر: العقيلي، المستشرقون، ج 1، ص 713.

3 - محمد فتح الله الزيايدي، الاستشراق أهدافه ووسائله، ص 77.

4 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها، نقلا عن المستشرقون الألمان لصالح الدين المنجد، ونقد الخطاب الاستشراقي لسااسي سالم الحاج ص 134.

5 - كارل بروكلمان (1868 - 1956م): ولد في روستوك. تخرج باللغات السامية على أعلام المستشرقين، انتخب عضواً في مجامع برلين وليزيغ، اشتهر بجم نشاطه وغازارة إنتاجه. انظر: العقيلي، المستشرقون، ص 777 - 778.

6 - نقد الخطاب الاستشراقي ص 134، والاستشراق أهدافه ووسائله ص 78.

7 - سااسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ص 134.

8 - حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين أجراه الدكتور ظافر يوسف، ص 136.

- تميزها بالاهتمام بالدراسات المقارنة للغات السامية، حيث هناك العديد من الدراسات والأعمال المقارنة بين العربية وغيرها من اللغات السامية الأخرى كالآرامية والعبرية والسبئية¹.
- اختلفت عن غيرها من مدارس الاستشراق الأخرى بالتركيز على البلاد العربية والدين الإسلامي دون غيرها من لغات وديانات الشرق الأخرى².

ثالثاً: علاقة الاستشراق الألماني بعلم الكلام الإسلامي

في حديثي عن علم الكلام الإسلامي وعلاقته بالدراسات الاستشراقية الألمانية، سأسلط الضوء على نقطتين أساسيتين والتي من خلالهما سأبرز هذه العلاقة، وهما:

1- مناهج المستشرقين الألمان في دراسة علم الكلام

منذ البداية، كان الهدف هو دراسة الدين الإسلامي وما يتفرع عنه من علوم، كعلم الفقه وأصوله والعقيدة الإسلامية وأصولها (علم الكلام) والتفسير والسنة النبوية. وفي هذا الجانب يختلف النقاد والباحثون حول طبيعة نوايا الاستشراق الألماني وأهدافه، إلا أنه من المعروف أن الاستشراق بعامة كان له أثر مهم في دراسة ونشر والتعريف بتراث المسلمين الحضاري وتشويه تاريخهم وانتقاد دينهم وتسهيل الاستعمار والسيطرة على العالم الإسلامي³. وغالبا ما كان للتكوين الفكري والمحيط التربوي أثر أساس في اعتماد مناهج وظهور مدارس استشراقية -ضمن المدرسة الألمانية- حديثة ومعاصرة جديدة⁴.

ومما يتعلق بالمناهج هو افتقارها إلى أهم عناصر البحث في الدراسات الإسلامية، التي منها: الإيمان بالله ﷻ واحترام المصدر الغيبي في الإسلام؛ واعتماد موقف موضوعي خالٍ من الأحكام المسبقة⁵. ومناهج معظم المستشرقين خالية من ذلك، فضلا عن عدم مناسبة تطبيقها على الدين الإسلامي. فمثلا المنهج التاريخي الذي يمثل جمع وقائع تاريخية أو اجتماعية وتبويبها وترتيبها، ثم

¹ - المرجع السابق، ص 137.

² - محمد فتح الله الزيايدي، الاستشراق أهدافه ووسائله، ص 80.

³ - ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ص 166.

⁴ - حيدر قاسم مطر التميمي، علم الكلام الإسلامي في دراسات المستشرقين الألمان يوسف فان أس أغودجا، ط 1، بيروت، لبنان، دار الروافد الثقافية، 2018م، ص 244.

⁵ - عبد الله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فاهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، ط 1، فيرجينا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1417هـ - 1997م، ص 34 - 35.

الإخبار عنها، والتعريف بها بوصفها الظاهرة الفكرية ذاتها¹. هذا المنهج استعمل في أوروبا لدراسة النصرانية كونها نشأت في بيئة دينية تأثرت بالمؤثرات الخارجية التي طرأت عليها. فكان هذا المنهج يتيح للباحث الكشف عن العناصر الأساسية التي ساعدت على تكوين النصرانية الأولى، لكن عندما يُطبَّق هذا المنهج على الدين الإسلامي الذي هو في حقيقته ليس وقائع تاريخية، بل هو عقيدة وشريعة ربانية بعيدة كل البعد عن العناصر المادية التي طرأت على الديانات الأخرى، فإذا طُبِّق هذا المنهج الذي يعتمد الوقائع التاريخية وجمعها على موضوعات ليست تاريخية ظهرت النتائج الخاطئة بسبب تطبيق هذا المنهج².

فالمنهج المسيحي الراديكالي، منهج اعتمد الإسقاط المادي، لأنه ينتقد دائما الإسلام ويشوّه حضارة المسلمين، أمثال المستشرق إبراهيم جايجر³، ويوليوس فلهاوزن⁴. وهذا المنهج، ينطلق من المسيحية أساسا لتقويم مختلف البحوث والدراسات الاستشراقية⁵. أمّا المنهج العلماني السياسي، فتمثله الدراسات الإسلامية في جامعة غوتنغن وكذا المركز الشرقي بجامعة فرانكفورت⁶. ويسمّي بعض الباحثين هذه المدرسة بـ: (مدرسة المنهج الفيلولوجي)، لاعتمادها الدراسات الأدبية واللغوية. وتعتمد هذه المدرسة تفسير كثير من القضايا الفكرية الحضارية للمسلمين على أساس سياسي، غير معتمدة الدين عاملاً محدداً للحضارة الإسلامية⁷.

¹ - عثمان حسن، منهج البحث التاريخي، ط 8، القاهرة، دار المعارف، 2000م، ص 20.

² - ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ص 166-168.

³ - إبراهيم جيجر (1810 - 1974م): حَبْر يهودي ألماني تناول بالدراسة المشابه بين القرآن وبين الكتب المقدسة، أدخل إصلاحات في الصلوات في كنيسة اليهود، وأصدر مجلة بعنوان: "المجلة العلمية للاهوت اليهودي"، أنظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 222.

⁴ - يوليوس فلهاوزن (1918 - 1944م): مؤرخ لليهودية ولصدر الإسلام، وناقد للكتاب المقدس (العهد القديم)، ألماني مسيحي، صار أستاذا ذاكرسي في جامعة جريفسفلد، قام بتدريس اللغات الشرقية في جامعة هله سنة 1882م. أنظر: المرجع نفسه، ص 408.

⁵ - عبد الله النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، ص 63 - 66.

⁶ - حيدر مطر التميمي، علم الكلام الإسلامي في دراسات المستشرقين الألمان، ص 246 .

⁷ - falkenstein adam, denkschrift zur lage der orientalistik, wisbaden: franzsteiner verlag, 1996, p 33 -34

المنهج الرابع هو المنهج الحوارى الاجتماعى، الذى يعتمد إلى حد بعيد على الفكر السوسيولوجى الليبرالى أساساً لبحوثه ودراساته، فهو منهج يربط نشأة المعتقدات وتكوينها بالمجتمع، وهو منهج مادى يرتبط بالمشاهدات والوقائع، وقد طُبِّقَ هذا المنهج على دراسة الأديان الوثنية فى أفريقيا وعلى دراسة اليهودية والنصرانية، وهو وإن صحَّ تطبيقه عليهم، إلا أنه لا يصح تطبيقه على الإسلام الذى لم يُحرَّف ولم يتغير أو يتأثر بغيره، بل الإسلام بمصادره الأصلية قد حُفِظَ¹.

كذلك لا يصح استعمال منهج الشك الديكارتي فى تفسير الإسلام ومبادئه مثل ظاهرة النبوة والوحي، كونه يتطلب أن يتجرَّد المرء من المبادئ والمعتقدات وإلغاؤها جميعها، ثم تخضع هذه العقائد للمنهج الشككي فى انتظار تقرير مقدار صحتها على وفق ما تُسفر عنه هذه الدراسة².

إنَّ مناهج البحث فى العلوم الإسلامية تتميز بخصائص معينة، على الباحث إتباعها، والأخذ بما جاءت به حتَّى تكون نتائجها العلمية صحيحة ومتفقة والأفكار الإسلامية، وهى مناهج تختلف كثيراً عن مناهج المستشرقين التى طبقوها على الدراسات الإسلامية³. ونحن حينما نطلُّ على كتابات علماء الكلام المسلمين فى القرون الإسلامية الأولى نجد أنَّ المستوى الرفيع الذى حصَّله هؤلاء المتكلمون فى ضبط المناهج العقلية والأخذ بالقيوم من الأدلة المنطقية يفوق المستوى الذى بلغه من يقوم من المستشرقين اليوم بالتصدي لدراسة المذاهب الفكرية الإسلامية، ويفوق مستوى من يتولَّى من مفكرى العرب المعاصرين مهمة تحديد التنظير لمناهج البحث فى الإنتاج الإسلامى. إذ استوعب المتكلمون استيعاباً منهجياً كاملاً مختلف أسباب عصرهم العلمية والتاريخية من وسائل نظرية وأوضاع ظرفية بينما لا نجد مثلاً هذا الاستيعاب المنسَّق لوسائل العصر العلمية والمعطيات التاريخية فى ما أُنجَز من الدراسات المعاصرة التى تحاول تطوير الفكر الإسلامى⁴. كذلك فإنَّ المتكلمين قد انتهجوا فى أبحاثهم طرقاً استدلالية تمتاز بالتجريد والدقة، وأتبعوا فى تحليلاتهم أساليب تمتاز بالطرافة والعمق، بينما لا تستقيم للكتابات المعاصرة عن التراث مثل هذه القدرة على ممارسة مناهج التفكير المنطقى. إنَّ هذا الامتياز المنهجى والمنطقى لعلم الكلام يجعل الطعن فيه جملة وتفصيلاً من لدن خصومه، من العرب والمستشرقين، منطوياً على غُلٍّ وحيث كبير، فضلاً عما يقع فيه من أخطاء منهجية⁵.

1 - حيدر التميمي، علم الكلام الإسلامى فى دراسات المستشرقين الألمان، ص 247.

2 - ساسى سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقى، ص 165.

3 - حيدر التميمي، علم الكلام فى دراسات المستشرقين الألمان، ص 251.

4 - المرجع نفسه، ص 252.

5 - عبد الرحمان طه، فى أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ط 4، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، 2010م، ص 71 - 72.

(2) - الدراسات الإسلامية الكلامية في ألمانيا في الوقت الحاضر

الدراسات الإسلامية في ألمانيا، المعروفة باسم (علم الإسلام) Islamwissenschaft التي كانت تُعرف سابقاً باسم الإسلاموية Islamistik أو معرفة الإسلام Islamkunde تشكلت من اختصاص الدراسات الشرقية في القرن التاسع عشر الميلادي، على الرغم من أن دراسة اللغة تعود إلى القرن السادس عشر الميلادي في الأقل¹. لقد اعتمدت الدراسات الإسلامية العربية في ألمانيا علم اللغة Philology أو المعرفة بثقافات وتاريخ شمال أفريقيا وآسيا عن طريق دراسة النصوص الموثوقة. وفي أثناء المدة 1884 - 1918م، أي في أثناء هيمنة ألمانيا على المستعمرات، فقد تنامي الاهتمام بالعالم الإسلامي، وتمكّن المستشرقون الألمان حتى عام 1933م من إنجاز البحوث والدراسات المبتكرة، التي نادراً ما تلقوا الدعم لأجلها من مؤسّساتهم الأكاديمية. وفي أثناء المدة 1933 - 1945م، تعرّضت حرية المتخصصين الأكاديمية إلى التقييد، إذ عمل الكثير منهم أساساً مع أجهزة المخابرات².

في مدة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حصل تحول في المعرفة، فبعد أن ركّز التدريب الصارم على اللغة، كان الهدف العام للمتخصصين في هذا المجال اكتشاف الحقائق غير المعروفة والمصادر الجديدة. إنَّ التّثبيت على الحقائق أعطى الدراسات الإسلامية توجهها الوضعي. فضلاً عن ذلك، وبفضل المستشرق الألماني بيكر بدأت الدراسات الإسلامية باتخاذ تركيز ثقافي إلى جانب تأكيدها اللغة كان التشديد على الثقافة والدين الإسلاميين مختلفين بالنسبة للثقافة الألمانية والأوروبية³. تعرّض اليوم أربع وعشرون جامعة ألمانية مناهج في الدراسات الإسلامية واللغات الشرقية، بالاشتراك مع تأكيدات ثقافية أو دراسات اجتماعية أخرى، إذ يوجد ثلاثة آلاف طالب مسجّل في هذه المناهج، بوصفها موضوعاً رئيساً أو ثانوياً. ويركّز مجموعه 34 كرسي أستاذية ومعهد أو ندوة على لغة العالم الإسلامي وتاريخه وثقافته. فقد ارتفع عدد الطلبة في السنوات القليلة

¹ - رضوان السيد، المستشرقون الألمان النُشوء والتأثير والمصائر، (د ط)، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007م، ص 11 - 17.

² - Andrew Higgins, The Lost Archive: Missing for Years, Cache of Photos Spurs research on Islam's Hallowed Text, New York: Wall Street Journal, 17january 2008, p 14.

³ - حيدر التميمي، علم الكلام في دراسات المستشرقين الألمان، ص 300.

الماضية، بسبب تنامي الجاليات الإسلامية في ألمانيا. وقد حثَّ هذا النمو الآخرين على تعلُّم المزيد ممَّا يتعلق بالممارسات العقائدية الإسلامية والتغطية الإعلامية للمسلمين والعالم العربي. واتسع عدد الطلبة كذلك بسبب اقتراب المنظَّمات الإسلامية من النظام الجامعي لتشجيع اندماج زعماء المسلمين وأئمتهم¹.

إن قدرة الدراسات الإسلامية واسعة جداً إذ أنَّها تُدرَّس تحت أسماء مختلفة في جامعات ألمانية عدَّة، مثل الندوة الشرقية Orientalistik أو Orientalisches Seminar؛ الدِّراسات الإسلامية (معهد العلوم الإسلامية) Islamwissenschaft für Institut؛ الدراسات العربية، أو تاريخ وثقافة الشرق الأوسط، وتأتي هذه التخصصات الأكاديمية عادة في كليات الآداب وليس كليات علم اللاهوت. ونتيجة أنَّ التخصص صغير نسبياً، فيمكن تدريسه في إحدى الجامعات ضمن الدراسات الفارسية وفي أخرى ضمن الدراسات التركية أو السَّامية، ويركِّز كل منها على لغة وثقافة محدَّدة قبل الإسلام².

وفضلاً عن أقسام الجامعة التي تعنى بالدراسات الإسلامية، فهناك عدد كبير من المؤسَّسات غير الجامعية والممَّولة من المال العام ومركز الدِّراسات ومُنظَّمات غير حكومية تتعاون مع البرامج الجامعية للدراسات الإسلامية. ويقع الكثير منها في المباني الجامعية. ويمكن أن يشمل تعاونها ألمانياً بأكملها والمستوى الدولي. ويأتي معظم التَّمويل من مصادر خارج الجامعات مثل مؤسَّسات ثقافية وعلمية، ومؤسَّسات سياسية، ومن الدولة الألمانية، وفي حالاتٍ نادرة من الشركات الخاصة³. وتشمل هذه المؤسَّسات البحثية ما يأتي:

- مؤسَّسة المشرق الألمانية في مدينة برلين Deutsche Orient-Stiftung، التي تأسَّست في عام 1960م، وتركِّز على سياسة مجتمعات الشرق الأوسط واقتصادها.
- معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في مدينة فرانكفورت te Institut für geschte der Arabisch-Islamischen Wissenschaften، الذي تأسَّس في عام 1982م.

¹ - Higgens, The lost archive , p 15.

² - Ipid, p 15.

³ - حيدر التميمي، علم الكلام الإسلامي في دراسات المستشرقين الألمان، ص 304.

- مركز الدراسات التركية في مدينة أسن Zentrum für Türkeistudien الذي تأسس في عام 1985م. ويُعنى بدراسة السياسة والاقتصاد والهجرة في تركيا.
- مركز الإنسانيات للدراسات الشرقية الحديثة في مدينة برلين Geisteswissenschaftliches Zentrum Moderner Orient تأسس سنة 1996م، ويركّز على تاريخ العالم الإسلامي وأفريقيا وآسيا ودياناتهم ومجتمعاتهم¹.

إنَّ المؤسَّسات الألمانية، كونها ذات تمويل جيّد، سوف تكون محطَّ اهتمام دولي لتصبح نقطة التقاء مهمة للمتخصِّصين بعلم الأديان من أنحاء العالم كافة، إذ أنَّ أفضل علماء الدين الإسلامي تعليماً في أوروبا وأكثرهم مهنية وأفضلهم أجوراً سوف يخرج من النظام الجامعي الألماني. وهذا لن يحدث بين ليلة وضحاها فما تزال هناك عقبات في الطريق ولكنه سيحصل على المدى البعيد².

على الرّغم من ذلك، فالعملية في الوقت الرّاهن أبعد ما تكون عن الاكتمال. فضلاً عن ذلك، فإنَّ تدخُّل عوامل محلية ودولية قد أدّى إلى تعقّد تلك المسألة الحسّاسة سياسياً. وقد تُكوّن تلك الحساسية هي سبب تمتع التعريف بعلم الكلام الإسلامي بالشفافية التي يمكن أن تكون عائقاً أمام قبوله بعامة ضمن الحقول الأكاديمية القريبة وضمن المجتمع المسلم في ألمانيا³.

المطلب الثالث: ترجمة موجزة للمستشرق جولد تسيهر

قبل أن أدخل في الحديث عن تفاصيل حياة هذا المستشرق من مولد ونشأة وحياة علمية ومنهج استشراقي وغير ذلك؛ يجدر بي أن أشير إشارة مهمة إلى تسميته، فالتسمية كاملة هي اجتنس جولد تسيهر Ignaz-Goldzhier اختُلف في كتابة اسمه على عدة أوجه بحسب اختلاف اللغات فقليل: (Ignace) يلفظ بالفرنسية (إينياس)، والألمانية (إغناتس) (Ignaz) أما (جولد تسيهر) فكان يكتب اسمه بالعربية (إجناس كولد صيهر) وكتبه غيره (إغناطيوس) و(إيغناز) وهو بالإيطالية

¹ - المرجع السابق، ص 305.

² - المرجع نفسه، ص 309.

³ - Shalem Avinoam, Über die Notwendigkeit, zeitgenössisch zu sein: Die islamische Kunst im Schatten der europäischen Kunstgeschichte, in: Orient-Orientalistik-Orientalismus.. Geschichte und Aktualität einer Debatte, Burkhard Schnepel (Hg), Bielefeld: Transcript Verlag, 2011, p 249

(Klgnazio) ويلفظه الإيطاليون (إينياتسيو)، وكتبه بعض الإيطاليين (إغنازيو)¹، فالشق الأول من اسمه "جولد" يكاد يُتَّفَق عليه عند جميع المؤرخين وأصحاب السير والأعلام؛ إلا القليل منهم في مصادر ومراجع قليلة نجد "كولد"؛ أما المختلف فيه من اسمه هو الشق الثاني، فمنهم من أطلق عليه "تسيهر" كما هو معنون به المطلب وهو أشهرهم على الإطلاق، ومنهم من أطلق عليه "زيهر أو تزهر". نجد ذلك كثيرا في بعض الكتب الإسلامية التي ترد على هذا المستشرق ضد مطاعن الإسلام، ومنهم من أطلق عليه "صيهير" وهو أنذرهم ويذكر ذلك بعض أصحاب السير والأعلام وعلى رأسهم العقيلي في كتابه المستشرقون؛ ومن خلال بحثي عن سبب اختلاف التسمية في الشق الثاني، لم أجد سببا معينا في ذلك، إلا أنني رجحت سبب الاختلاف في التسمية إلى ترجمة تسميته من اللغات الأخرى إلى العربية، فباختلاف الترجمات اختلفت وتعددت التسميات والله أعلم.

أولا: ميلاده ونشأته العلمية ووفاته

"ليس في حياة جولد تسيهر الظاهرية شيء يستحق التسجيل. فهي حياة هادئة لم تخرج عن دائرة الحياة العلمية الخالصة. ولم تتعدّها إلى الحياة العامة، أو إن تعدّتها فبمقدار هين قليل. أما حياته الباطنة فكانت خصبة حافلة بالنشاط والحركة، تمت سريعا وكانت مبكرة في هذا النمو شديدة التبكير، واستمرت قوية وثابتة، سائرة نحو غايتها دون توان ولا انقطاع"².

ولد جولد تسيهر في الثاني والعشرين من شهر يونيو سنة 1850 بمدينة اشتولفيسنبرج في بلاد المجر. وأسرته من أصول يهودية ذات مكانة وقدر كبير³.

ولهذين العاملين: عامل انتمائه إلى بلاد المجر التي كانت آنذاك جزءا من الإمبراطورية النمساوية، وعامل انتمائه إلى أسرة إسرائيلية هذا حظها من المكانة في الحياة الاجتماعية، أثر كبير في تحديد خصائص جولد تسيهر. فهذين العاملين لم يكن جولد تسيهر ليشترك في الحياة السياسية العامة، أو أن يقوم بدور في السياسة الخارجية لوطنه، كما هي الحال بالنسبة لكثير من المستشرقين. وكان عامل انتمائه إلى أسرة إسرائيلية هو الذي طبعه بطابع العالمية، وأشاع فيه الروح الدولية التي تعلو أو تتخلص

¹ - خير الدين الزركلي، الأعلام، ط 15، لبنان، دار العلم للملايين، 2002م، ج 1، ص 14.

² - عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 197.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

من الروح القومية. ثم إن وضع أسرته الاجتماعي كان عاملاً أيضاً في تشكيل نظرته إلى الحياة العامة. لأن هذا النوع من الأسر كثيراً ما يقف موقفاً هو خليط من المحافظة، والوطنية المحدودة؛ ولهذا نراه ذا نزعة وطنية فيها من التحفظ الشيء الكثير، كما نراه لا يرضى عن الحركات الثائرة، حتى لو كانت هذه الحركات في صالح الطائفة التي ينتسب إليها¹.

أما دراسته فقد قضى السنين الأولى منها في بودابست ومن ثم ذهب إلى برلين سنة 1869م فظل بها سنة انتقل بعدها إلى جامعة ليبزيغ، وفيها كان أستاذه في الدراسات الشرقية فليشر، أحد المستشرقين الناجحين في ذلك الحين، وكان ممتازاً في الناحية الفيلولوجية على وجه التخصيص. وعلى يديه ظفر جولد تسيهر بالدكتوراه الأولى سنة 1870م، وكانت رسالته عن شارح يهودي في العصور الوسطى شرح التوراة، هو تنحوم أورشليمي².

يقول نجيب العقيقي عن حياته العلمية: "تخرج جولد تسيهر باللغات السامية على كبار أساتذتها في بودابست، وليبزيغ، وبرلين، وليدن وعندما نبّه ذكره عُيّن أستاذاً محاضراً في كلية العلوم بجامعة بودابست عام 1873 ثم أستاذ كرسي عام 1906 و انتدبته الحكومة للقيام برحلة لسوريا عام 1873 فصحب فيها الشيخ طاهر الجزائري ثم تركها إلى فلسطين ومصر عام 1873 - 1874م، حيث تضلع من العربية على شيوخ الأزهر ولاسيما الشيخ محمد عبده متزياً بزيهم تضلعه من أصول اللغات السامية، و اشتهر بتحقيقه في تاريخ الإسلام و علوم المسلمين وفرقهم وحركاتهم الفكرية تحقيقاً فريداً في بابه، فعد من أعلام المستشرقين و اعترف له عظماءهم بطول الباع وصدق النظر والبعد عن الهوى. وقد انتُخب عضواً في مجمع العلوم المجري عام 1893، وفي مجامع علمية عديدة، ونال لقب دكتور شرف من جامعتي أدنبرا، وكمبريدج، وحاضر في مؤتمر المستشرقين بليدن عن مذهب داود الظاهري عام 1883م و كان قد جمع كتبه وكتب ابن حزم و نشر جزءاً من الأبطال لابن حزم. وحاضر في مؤتمر المستشرقين بهامبورج عن المراثي عند العرب عام 1902م . وأنشأ عن الإسلام مقالات رصينة في المجالات الآسيوية و الغربية بالألمانية و الفرنسية والإنجليزية و الروسية و المجرية، و العربية"³.

¹ - المرجع السابق، ص 197 - 198.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - نجيب العقيقي، المستشرقون، ج 1، ص 906.

وهكذا ظل جولد تسيهر أكثر من ربع قرن شمسا ساطعة استمرت تُرسلُ في عالم البحوث الإسلامية ضوءاً يُبدد قليلاً قليلاً ما يحيط بنواحي الحياة الدينية الإسلامية من ظلام، وينير السبيل أمام الباحثين في الوثائق التي سجلت فيها تلك الحياة، وينمو على حرارته جيل ضخم ممن كانوا بالأمس القريب، أو ممن هم اليوم، أئمة المستشرقين، حتى كانت وفاته في اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر 1921م بالمدينة التي قضى فيها الشطر الأعظم من حياته، ونعني بها مدينة بودابست¹.

ثانياً: منهجه الاستشراقي

اعتمد جولد تسيهر في منهجه الاستشراقي تقريباً ما ينهجه أي مستشرق أوروبي، فارتكز منهجه على ما يلي:

2/- المنهج الفيلولوجي: ويعتمد على المقارنة والمقابلة بين النصوص، وتحليل النصوص إلى عناصرها الأولى، وإرجاعها إلى آخر سابقة لها، ويكمن الخطأ في هذا المنهج من جراء فرضية علمية رسخت في ذهن المستشرقين لأحكام مسبقة، مفادها أن هذه النصوص القرآنية التي يدرسونها، ليست إلا صورة لها وردت هنا وهناك، قبل بعثة النبي ﷺ. فكلما تطابقت ملامح نص قرآني مع نص سابق، سارعوا برد ذلك إلى ثقافة الرسول التاريخية، وإلى اطلاعه على ما جاء في الكتب السابقة. أما حين يوجد اختلاف فلا يردون ذلك لما حلَّ بنصوصهم من تغيير وتبديل وتحريف، وإنما يلصقون تهمة التحريف والتبديل بالإسلام ذاته².

واستخدم جولد تسيهر هذا المنهج في مواضع كثيرة منها تعليقه على قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54] فقال: "أي فليقتل بعضكم بعضاً، أو بالمعنى الحرفي للنص: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم"، وهذا ينطبق في الواقع على ما جاء في سفر الخروج فصل 32 فصلة 27³ الذي هو مصدر الكلمات القرآنية⁴.

¹ - عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 198.

² - محمد جلاء إدريس، الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة، ط 1، القاهرة، مكتبة الآداب، 2003م، ص 40.

³ - قوله: "فقال هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذ، ومروا به، وارجعوا من باب في المحلة، واقتلوا كل واحد أخاه، وكل واحد صاحبه، وكل واحد قريبه" سفر الخروج، الإصحاح 32، الفقرة 27.

⁴ - جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، (د ط)، مصر، مكتبة الخانجي، 1995م، ص 10.

واستعمال هذا المنهج يجعل القارئ غير المسلم، يعتقد أن دين محمد ﷺ هو اللاحق على اليهودية قد استقى منها كل تلك المفاهيم.

وهذا المنهج الذي سار ليه جولد تسيهر صار من أهم خصائص أسلوب الكتابة عنده، بل رسخ في فكره بشكل لا يمكن الاستغناء عنه، فقد درس فقه اللغة المقارن، وعلم مقارنة الأديان، وتعلم كيفية المقارنة بين النصوص منذ الصغر. وهكذا يُعدّ منهج المقابلة والمطابقة ظاهرة لا تنفك عن كتابات جولد تسيهر خاصة ما يتعلق بالنصوص القرآنية في مجال العقيدة الإسلامية¹.

3/- المنهج المادي: والمقصود به هو مادية كارل ماركس² صاحب الفلسفة المادية، والتي كان لها تفسير للتاريخ الإنساني أثر على الفكر الغربي الأوروبي، وقد ألغت فيه الاهتمام بالجانب الروحي للدين والأخلاقي، وفسرت التاريخ بالصراع بين طبقات المجتمع، وركزت على الاقتصاد، وأنه هو المحرك الرئيس والأساس للتاريخ؛ وتأثر جولد تسيهر بمادية كارل ماركس في تفسيره لأحداث التاريخ الإسلامي وخاصة في كتابته عن النبي ﷺ، وأن أكثر تحركاته وفتوحاته كانت من أجل الرئاسة والسلطة، وكذلك كتابته عن الصحابة رضوان الله عليهم، وأن ما حصل بينهم سببه الصراع بين الطبقات، أو من أجل المال، دون النظر إلى الجوانب الدينية والأخلاقية التي كانت سائدة في عصر الصحابة رضي الله عنهم، والتي قادتهم إلى الفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام³. «وهنا يرى جولد تسيهر أنّ كل همّ المسلمين التفتيل في الناس، وأن الدافع الأساسي للفتوحات الإسلامية هو الحاجة المادية والطمع، وقد فسّرها بأنها أسباب اقتصادية، أقبل عليها العرب من أجل نشر الإسلام»⁴.

4/- المنهج النفسي (السيكولوجي): والمقصود به المنهج الذي اعتمد على نظريات فرويد، المهمة بدراسة سلوك الفرد، التي فسرها في الشخصية الإنسانية، على أساس من التحولات التي تحدث في عالم الجنس، وذلك ما يؤكده بنفسه عندما يقول: "ليس لعلم النفس حاجة أشد من حاجته إلى نظرية

¹ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، درجة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1435هـ - 2014م، ص 75.

² - كارل ماركس (1818 - 1883م): فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ، وصحفي واشتراكي، لعبت أفكاره دوراً هاماً في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية. من كتبه بيان الحزب الشيوعي ورأس المال. أنظر: Jarbot،

كارل ماركس، ويكيبيديا، 1 يونيو 2019، الساعة 14:17، <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/>

³ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية" ص 76.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها - بتصرف -.

مكنة في الغرائز¹. وقد تأثر المستشرقون عامة وجولد تسيهر خاصة بهذا المنهج، حيث طبقوا كل النظريات على الأنبياء عليهم السلام، وفسروا حالات تلقي النبي للوحي، بنوبات من الصرع، والهستيريا والهلوسة، فزعم جولد تسيهر أن الوحي عبارة عن تخيلات وأوهام نفسية نابعة من ذات النبي محمد ﷺ، وهذا يعني إنكار الوحي والنبوة، ويصف النبي ﷺ بأنه كان رجلاً شهوانياً. فيقول: "ويمكننا أن نقرر دون ريب، بصفة عامة أن ميل النبي للنساء كان مطرداً في الزيادة، وذلك كحقيقة تاريخية مدعومة بالأدلة والأسانيد"².

وهكذا يصف جولد تسيهر النبي ﷺ بناءً على استخدامه للمنهج النفسي، بأنه إنسان صاحب غرائز، وميول فطرية، وحاجات عضوية، هي الأساس في سلوك حياته، ويستحيل بعد ذلك أنه نبي مرسل، من عند الله ﷻ.

5/- المنهج التاريخي: هو وصف وتسجيل ما مضى من وقائع تاريخية، واجتماعية، ووضعها بجوار بعضها البعض وترتيبها، ثم الإخبار عنها والتعريف بها، باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها، ويستخدم هذا في مجالات العلوم الطبيعية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وهو يتبع تاريخ الظاهرة بقصد التواصل إلى حقائق تساعد على فهم الماضي والحاضر³.

وقد استخدم جولد تسيهر هذا المنهج في قوله: "إنَّ محمداً - بلا شك - أول مصلح حقيقي في الشعب العربي، من الوجهة التاريخية، تلك كانت طرافته، برغم قلة طرافة المادة التي كان يبشر بها"⁴. وعن طريق هذا المنهج يحاول أن يدرس شخصية الرسول ﷺ فيتحدث عنه كأبي مصلح اجتماعي، أو سياسي، تصدر دعوته نتيجة لحاجات عصره، وطبقاً لظرفه. ومن خلال تطبيق جولد تسيهر للمنهج التاريخي للأديان الثلاثة، يتوصل إلى أن الإسلام أفضل الديانات، فيما يتعلق بالتوحيد، فهو الدين الذي منع الشعوذة، والعناصر الوثنية عن طريق التعاليم السنية⁵.

¹ - سيجموند فرويد، حياتي والتحليل النفسي، ترجمة: مصطفى زيور وعبد المنعم المليجي، ط 4، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص 21 - 25.

² - جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، ط 2، مصر، دار الكتب الحديثة، 1959م، ص 142.

³ - محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ط 1، الإسكندرية، دار الدعوة، 1996م، ص 33.

⁴ - جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص 13.

⁵ - محمد خليفة حسن، دراسة القرآن عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، (د ط)، (د ن)، (د ت) ص 28.

ويرى جولد تسيهر أن الفكرة الرئيسة في المنهج التاريخي هي: أن الأديان تمر بمراحل نشأة وتطور في التاريخ، وأنها خلال حياتها تخضع لقانون التأثير والتأثر، فالدين السابق يؤثر في الدين اللاحق، ومن ثم فالديانات خاضعة للمؤثرات التاريخية، فهي ديانات متطورة في التاريخ، وقد سمحت طبيعة الديانتين اليهودية والنصرانية، بتطبيق المنهج التاريخي، وكان هدفه من استخدام هذا المنهج إثبات عدم أصالة الإسلام كدين، وأن الحضارة الإسلامية ترجع إلى أصول يونانية وهندية وفارسية ويهودية ونصرانية.

وهكذا يتبين أن جولد تسيهر استخدم المنهج التاريخي، وحاول من خلاله إضفاء هالة من الأحكام العامة على الإسلام، واستخدام النصوص لتفسير حركة الإسلام وتطوره، مما أدى به إلى إهمال دراسة حاضر العالم الإسلامي من الناحية السياسية والثقافية والحضارية¹. وبناء على هذا فإن جولد تسيهر كان يغالط ويزيف الحقائق، ويعمم الأحكام دون مراعاة لطبيعة الإسلام.

6/- المنهج النقدي: يعتمد هذا المنهج على أسلوب البناء والهدم، فالبناء بمعنى الإطار والمديح لبعض جوانب الظاهرة موضوع الدراسة، والهدم وفيه يجرد الباحث أهم أركان الظاهرة موضوع الدراسة من كل مقوماتها حتى يسقطها تماماً². وقد استخدم جولد تسيهر هذا المنهج في مواضيع كثيرة من كتبه، ففي كتابه "العقيدة الشريعة" يتطرق لمبحث الزهد والتصوف، وقد انصب تقريظه على الجوانب السلبية، مثل نظريات وحدة الوجود، والحلول، والاتحاد، والفناء، والتناسخ، يستهدف من ذكرها زلزلة مفهوم التوحيد، كما يتطرق إلى أمور الفيض والمكاشفة والمواجد، والتحلي والتخلي، وما إلى ذلك من أحوال المتصوفة التي تعتربهم عبر مختلف محطات المسالك، وبلوغ المقامات، والمنازل³. دون أن يذكر أدنى فكرة عن الزهد المعتدل الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام والتابعين، وما كانوا عليه من قيم أخلاقية وروحية، وصفاء الروح وتقوية السلوك.

7/- المنهج الإسقاطي: يقوم هذا المنهج على استبدال الظاهرة المدروسة بظواهر أخرى، وبهذا المنهج يريد المستشرق إسقاط الواقع المعاصر المعيش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ،

¹ - ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ص 175.

² - بشير مغلي، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، ط 1، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث، 1422 هـ، ص 347.

³ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 81.

يفسرها في ضوء خبراته ومشاعره الخاصة، وما يعرفه من واقع الحياة والمجتمعات¹. ويستخدم جولد تسيهر هذا المنهج ويعتمد عليه في معظم كتاباته، فكان يقبل على النصوص، وفي عقله جهاز من المقولات والصور الإجمالية، يحاول تطبيقها على هذه النصوص، والتوفيق بينها، وبين ما يوحي ظاهر النص حتى يتلاءم وهذه الصور الإجمالية، وحتى يدخل في نطاق تلك المقولات².

وقد أدى استخدام جولد تسيهر لهذا المنهج إلى اختيار ما يناسبه من الأقوال التي تعضد فكرته، بناءً على أن اختياره للنصوص سيكون انتقاءً كيفياً، أو نفيًا كيفياً، فيفسر في ضوء خبرته ومشاعره الخاصة، وما يعرفه من واقع الحياة والمجتمع الغربي³.

8/- منهج النفي والافتراض: والمقصود به نفي المرويات الصحيحة المتصلة بقضايا الإسلام، وخاصة ما يتعلق بالدراسات القرآنية والحديث النبوي، وأخذ كل ضعيف شاذ والتشبه به، وهذا المنهج يهدف إلى نفي الحقائق، من خلال إثارة الشكوك والمبالغة في النقد، وافتراض التعارض إلى حد الإلغاء، والنفي الكيفي لكل ما يتعارض مع وجهات النظر الاستشراقية⁴. «وقد استخدم جولد تسيهر هذا المنهج في مجال التشكيك والنفي الاعتباطي كقاعدة صلبة لتحليل التراث الإسلامي الحضاري، فراح يشكك في نصوص القرآن، وعبر عما سماه "اختلاف النص القرآني واضطرابه"⁵، كما شكك في صحة الأحاديث النبوية، وزعم بأن القسم الأكبر منها موضوع، وأن الحديث النبوي كان نتيجة التطور الديني والسياسي في باكورة القرون الأولى للهجرة، ونتيجة للصراع بين الفرق والمذاهب»⁶.

هاته هي مجمل المناهج التي تمثل منهج المستشرق جولد تسيهر في دراسته لعلوم الشرق، والتي سار عليها من أجل المغالطة من خلال دراسة قضايا الإسلام.

¹ - عبد العظيم الديب، المنهج عند المستشرقين، (د ط)، (د ن)، مكتبة المهتدين الإسلامية، 1993م، ص 363.

² - عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 199 - 200.

³ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 82.

⁴ - عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، (د ط)، دمشق، دار ابن كثير، 2005م، ص 24.

⁵ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 83.

⁶ - أمين عمر مصطفى، المستشرق جولد تسيهر والسنة، ط 1، الأردن، دار الأعلام، 2011م، ص 420.

ثالثاً: مصنفاته

«كتب جولد تسيهر مئات البحوث عن الإسلام والمسلمين، وعشرات الكتب الكبيرة، فبدأ نشاطه الكتابي في سن مبكرة وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة، فكتب بحثاً عن أصل الصلاة وتقسيمها وأوقاتها، ثم اتجه إلى الدراسات الشرقية، وهو لا يزال في سن السادسة عشرة، فقام بترجمة قصتين من التركية إلى اللغة المجرية، تحت عنوان "مستشرق في السادسة عشرة" ومنذ هذه السنة - سنة 1866م - كان في كل سنة يكتب بحثاً أو أكثر، حتى بلغت مجموعة أبحاثه ومؤلفاته ما يقارب 592 في مختلف اهتماماته»¹. وسأبرز في هذا العنصر أهم المصنفات التي كتبها جولد تسيهر والتي اشتهر بها في الدراسات الإسلامية، وهي:

(1) - "الظاهرية مذهبهم وتاريخهم": يعد من أوائل أبحاثه سنة 1884م، هذا الكتاب كما قال عبد الرحمان بدوي: "يدرس خصوصاً أصول الفقه دراسة تفصيلية واسعة، فيتكلم عن أصول المذاهب الفقهية المختلفة، وعن الإجماع والاختلاف بين أئمة المذاهب، وعن الصلة بين هذه المذاهب وبين المذهب الظاهري وما بينها وبين بعض من فروق فيقدم لنا بذلك نظرة شاملة عن جوهر الفقه عامة"². ولا يخفى القارئ لأبحاثه بصفة عامة ما فيها من أخطاء علمية يبني عليها آراءه واستنتاجاته الباطلة.

(2) - "دراسات إسلامية" صدر الجزء الأول منه سنة 1889م، والجزء الثاني في العام التالي، يتحدث في الجزء الأول عن الوثنية والإسلام بنظرة جديدة مخالفاً نظرة من عاصره من المستشرقين الذين عنوا بدراسة نفس المسألة، فيمثل للوثنية بروح الجاهلية ما فيها من سلبيات وإيجابيات تتمثل في المروءة وغير ذلك من الصفات وما أتى به الإسلام من المناداة بالمساواة، ثم يعرج على الفتح الإسلامي لبلاد فارس ما كان فيه العرب على حد زعمه من جاهلية وما كان فيه أبناء فارس من تقدم وثقافة رفيعة، «وفي الجزء الثاني يتحدث على علم الحديث الشريف ويشير إلى أن الحديث الاعتبار فيه أنه مصدراً لمعرفة الاتجاهات السياسية والدينية والروحية، لا باعتباره وحياً ومصدراً ثانياً للشرعية، ويشير إلى أنه كان مصدراً ودليلاً لجميع الفرق والمذاهب التي أرادت السياسة لا الدين،

¹ - عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 200 - بتصرف -.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فقيمة الحديث إذاً ليست في أنه وحي، بل فيما يكشف عنه من الميول والأهواء التي استترت وراءه، ويتحدث أيضاً في هذا الجزء عن تاريخ تقديس الأولياء في الإسلام وطبيعة هذا التقديس»¹.

(3) - "مذاهب التفسير الإسلامي" هذا الكتاب الذي يمثل نضجه الثقافي على حد زعم المستشرقين، طبع لأول مرة في لندن سنة 1920 وقد ترجم إلى اللغة العربية مرتان، ويعد هذا الكتاب آخر كتاب أصدره، وقد أُلِّم فيه بعدة علوم بارزة من علوم الإسلام؛ على رأسها: التفسير، والحديث، والعقائد، والقراءات، والتصوف، والفرق، وغير ذلك. ويتحدث فيه عن المراحل الأولى للتفسير والقراءات المختلفة للقرآن الكريم ويطعن فيها، وعن الأحرف السبعة ومصحف عثمان رضي الله عنه، ويسرد من خلال ذلك دعاوى باطلة أن فيه مشاكل لغوية نحوية، ثم يتحدث عن مذاهب التفسير بالمأثور ويشكل على القارئ بدعوى باطلة أن فيه إسرائيليات كثيرة، ثم يتكلم عن التفسير بالرأي متمثلاً لذلك بالمعتزلة ودورهم في ذلك بإبراز آراء وأقوال الزمخشري، ثم يتحدث عما يسميه تفسير الصوفية ومستعرضاً لأقوال الغزالي وابن عربي وابن رشد والسهوردي، ثم عن تفسير الآيات من بعض الفرق واستشهادهم بها في بناء باطلهم كالخوارج والشيعة، ثم يتكلم عن التفسير الحديث عند كل من محمد عبده ومن على طريقته، معرضاً في سرد هذه المذاهب عن حقائقها وفائدتها والوقوف على ما في أصول بعضها من خلط وخطأ، ومع سرده لهذه المذاهب فقد أغفل متعمداً بعض طرق التفسير كالبلاغي وغيره².

(4) - "العقيدة والشرعية في الإسلام" طبع عام 1960م، وهو في أصله كان عبارة عن مجموعة محاضرات عن الإسلام ألقاها أمام اللجنة الأمريكية للمحاضرات في تاريخ الأديان، ويتحدث فيه عن الإسلام بصورة عامة، فيتكلم عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلى أنه لم يأت بجديد، وأن الإسلام ما هو إلا نوعاً من الأفكار والآراء الهلينية والتيارات والآراء الهندية، والأفلاطونية، إلى جانب العناصر اليهودية والمسيحية، ثم يتكلم عن الفقه وأن القرآن والسنة لم يتمما كل شيء في الشريعة، ولكن كُمل عن طريق الأجيال التالية وأن الإسلام وقانونه الشرعي مستقي من القانون الروماني، ثم تكلم عن الحديث وعلمه وطعن في تاريخ تدوينه، ثم تكلم عن العقيدة وعلم الكلام ونظرية الجبر والاختيار وبعض الفرق خاصة المعتزلة الذين يعتبرهم من أهل السنة والجماعة، ثم يتحدث عن الزهد والتصوف

¹ - المرجع السابق، ص 201 - بتصرف.

² - المرجع نفسه، ص 202 - 203.

وتأثرهما بالهندية اليونانية، ثم يتكلم عن الحركات الدينية كالمهاوية ويضمنها في خبث إلى الحركات الباطلة الكفرية كالبايية والبهائية والأحمدية وغيرهم من الحركات¹.

هاته هي أبرز أهم كتبه التي ظهرت بقوة في دراسته عن الإسلام وحضارة الشرق، وله بعض اخر لكنه غير مشهور مثل: "دراسات في الحديث النبوي" و"دراسات محمدية" و "الإسلام والدين الفارسي" وحتى هاته الأخيرة طعن فيها جولد تسيهر في الإسلام، سواء عن طريق التفسير، أو الحديث النبوي أو تاريخ سيرة النبي ﷺ، أو العقائد الإيمانية بالتشكيك فيها أو وضع مغالطات فيها كالمغالطة في أصل التوحيد وغير ذلك، ومعظم مؤلفاته ينهج فيها هذا النهج من أجل الافتراء على الإسلام ووضع فيه ما ليس منه .

¹ - المرجع السابق، ص 201 - 202.

المبحث الثاني

نقد موقف جولد تسيهر من النبوة المحمدية

المطلب الأول: موقف جولد تسيهر من النبوة

المطلب الثاني: الرد على مطاعن جولد تسيهر في النبوة

نقد موقف جولد تسيهر من النبوة المحمدية

في هذا المبحث الثاني سأحدث عن موقف المستشرق جولد تسيهر من نبوة النبي ﷺ ، سواء من ناحية ما جاء به النبي ﷺ من وحي إلهي أو رسالة ربانية أراد تبليغها للناس؛ أو من ناحية شخص النبي ﷺ في حياته الدينية والاجتماعية، وأورد نقد العلماء للمطاعن والشبهات، التي أثارها هذا المستشرق في مسألة النبوة المحمدية وما يتعلق بها، وتفصيل هذا المبحث سيأتي في المطلبين القادمين.

المطلب الأول: موقف جولد تسيهر من النبوة المحمدية

إن موقف جولد تسيهر من النبوة يمكن تلخيصه في أربع نقاط مهمة، كما أوضحها الباحث حمزة بن عبد المطلب عزيز، في مذكرته الموسومة بـ: "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، وهي كما يأتي:

أولاً: ادّعاؤه أنّ ما جاء به النبي ﷺ مرجعه المصادر الداخلية والخارجية

(1)- المصادر الخارجية: والمقصود بالمصادر الخارجية هو المنتخب الممزوج من الديانتين اليهودية والنصرانية وغيرهما من الأديان، فجولد تسيهر يزعم أن ما جاء به النبي ﷺ مصدره هو ما كان من الديانتين السابقتين اليهودية والنصرانية وغيرهما من الديانات الأخرى، وأنه لم يأت بدين موحى به من عند الله عز وجل كما يزعم النبي ﷺ في نظر جولد تسيهر¹.

ويستدل جولد تسيهر عن قوله في ذلك ما جاء في كتابه العقيدة والشريعة فيقول: "فمحمد مؤسس الإسلام لم يبشر بجديد من الأفكار، كما لم يمدّدنا أيضاً بجديد فيما يتصل بعلاقة الإنسان بما هو فوق حسّه وشعوره، وباللانهائية، لكن هذا وذاك لا ينقصان من القيمة النسبية لطرافته الدينية (...). فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقف عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه؛ وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في رأيه كذلك ضرورية لتثبيت ضرب من الحياة في الاتجاه الذي تريده الإرادة الإلهية. لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيًا إلهيًا، فأصبح - بإخلاص - على يقين بأنه أداة الوحي"².

¹ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 141.

² - جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص 12.

ويقول أيضا: "لقد كان مسقط رأس محمد مركزا من المراكز الهامة الخطيرة لعبادة الأوثان والأصنام، كما كان مقرا للكعبة المقدسة والحجر الأسود، ومع هذا كانت المادية، وكبرياء الجاهلية، وتَحَكُّم الأغنياء في الفقراء، هي المميزات السائدة عند أشرف تلك المدينة (...). رأى النبي محمدا هذا، فأخذ يشكو من اضطهاد الفقراء، وطمع الأغنياء، وسوء المعاملة، وعدم المبالاة بالصالح العام، وواجبات الحياة الإنسانية، والأشياء الفاضلة الباقية التي تقابل هذه الحياة الدنيا الزائلة ومتاعها (...). وعندئذ قابل هذه الأمور التي أثارت نفسه، والأثر الذي كان باقيا وحيًا فيه، وهو الأثر المدين به للتعاليم التي سبق أن تلقاها وتفتحت لها نفسه وأشر بها قلبه"¹.

ففي القولين الأولين يشير جولد تسيهر إلى أن ما جاء به النبي ﷺ ما هو إلا مزيج من الديانات السماوية التي سبقت الإسلام وغيرها من الديانات الأخرى، وأن النبوة اكتسبها من خلال المكانة التي حظيت بها مكة المكرمة آنذاك، إضافة إلى الكعبة المشرفة والحجر الأسود اللذين يعدان عاملا كبيرا في نظر تسيهر لنبوة النبي ﷺ وأردف إلى ذلك انتشار المادية بين المجتمع المكي القرشي.

ويقول كذلك: "وسوف لا أقص هنا تاريخ نجاحه وفشله - في العهد المكي - إنما أذكر أن عام 622م كان مستهل تاريخ الإسلام، لقد هاجر النبي مدفوعا بسخرية قومه إلى يثرب التي يظهر أهلها أكثر استعدادا لقبول ما يتعلق بالنظام الديني من عواطف وإحساسات، وذلك لأنهم في أصلهم من جنوب الجزيرة العربية. فضلا عن هذا فإن الأفكار التي كان يبشر بها كان من الواجب أن تظهر غرابة لديهم، إن لم تكن مألوفا أكثر لهم، إذ كان للدين اليهودي ممثلون كثيرون بينهم (...) وفي هذه المدينة استمر الرسول يُظهر أنه مُوحى له بواسطة الروح الإلهي كما أن الجانب الأكبر من القرآن نراه يحمل طابع وطنه الجديد (...) فإن تبشيره قد اتخذ إلى جانب هذا اتجاهًا جديدا، فلم يصبح حديثه حديث من استولت عليه الرؤى المشبعة بالدار الآخرة وما يكون فيها. بل إن تلك الحالة الجديدة جعلت منه أيضا مجاهدا، وغازيا، ورجل دولة، ومنظم جماعة أصبحت تتسع وتنمو شيئا فشيئا (...) والوحي الذي نشره محمد في أرض مكة لم يكن ليشير إلى دين جديد. فقد كانت تعاليم واستعدادات دينية نماها في جماعة صغيرة (...) إنه في المدينة فقط، ظهر الإسلام نظاما له طابع خاص، وله في الوقت نفسه صورة الهيئة المكافحة، إنه في المدينة قامت طبول الحرب التي تردد مداها في جميع أزمنة التاريخ"². وقال: "إنه يريد الآن إصلاح دين إبراهيم وإعادةه إلى أصله بعد أن نال منه التغيير والإفساد، وكان تبشيره مختلطا ببعض التقاليد القديمة التي

¹ - المصدر السابق، ص 13.

² - المصدر نفسه، ص 16 - 18.

تتعلق بإبراهيم، فالشعائر التي أسسها قد سبق أن وضع أساسها إبراهيم، لكنها حُرِّفَتْ في ضلال الأزمان والأجيال واتجهت نحو الوثنية، إذًا، لقد أصبح يريد إقامة دين الله الواحد كما جاء به إبراهيم، كما أنه بوجه عام مصدقًا لما سبق أن أوحاه الله لمن تقدمه من الرسل والأنبياء.

فتحريف الوحي القديم وغموضه، اللذان أصبحا مناط شكواه، صار لهما منذ ذلك الوقت أهمية كبيرة في تكوين فكرته عن رسالة النبوة وما تتطلب من واجبات، ذلك بأن بعض الذين مالوا عن دينهم الأول، والذين كانوا يرغبون مرضاته، قد قوَّوا قيه عقيدة أن أنصار الدين القديم كانوا قد حرفوا الكتاب، وأنهم أخفوا البشارات التي جاء بها أنبياء التوراة، وأنبياء الإنجيل عن ظهوره في المستقبل (...). والجدل ضد اليهود والمسيحيين شغل مكانا كبيرا في الوحي المدني، لقد كان فيما مضى يعترف أن الصوامع والبيع والصلوات تعتبر أمكنة عبادة حقيقية (سورة الحج: 40)¹، لكن الأمر تغير بعد هذا كما صار رهبان المسيحيين وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه، وقد كانوا في الواقع أساتذة له². وفي القولين الأخيرين يرى جولد تسيهر أن ما أكسب النبي ﷺ النبوة في المدينة المنورة هو ما لاقاه من سخرية وأذى في مسقط رأسه مكة، فهجرته إلى يثرب استعطف أهل المدينة المنورة، مما تقبلوا ما جاء به من نبوة ووحى مصدره الروح الإلهي، فبدأ يدعو إلى عبادة الله وحده وترك الأوثان، كما أن النبي ﷺ بثَّ روح القتال والجهاد في سبيل الله في نفوس المهاجرين والأنصار، في دعوة منه إلى أن الأجر والثواب العظيم سيكون في الدار الآخرة، ويرى أيضا أن ما كان ينشره من دعوة في المدينة ما هو إلا إصلاح لما جاء به إبراهيم عليه السلام بعد أن نال منه التغير والإفساد، وفي هذا الإصلاح اعتمد على الوحي القديم وغموضه، واعتماده كذلك على رهبان المسيحيين وأحبار اليهود الذين كانوا - في نظر جولد تسيهر - أساتذة للنبي ﷺ حيث صار له أهمية كبيرة في تكوين فكرته عن رسالة النبوة.

وملخص الأقوال كلها أن جولد تسيهر أنكر تماما ثبوت الرسالة المحمدية، ولم ينسب له أي معرفة دينية موحى إليه بها من عند الله تعالى، وإنما مرَّد ذلك كله ما تأثر به من التعاليم اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان، وأن النبي ﷺ لم يبشر بدين جديد، وأن كل ما يتعلق من أمور العبادات والأخلاق وغيرها كلها مأخوذة من غيره من الديانات، وأن مصدر ما جاء به هو ما تلقاه من أساتذته رهبان النصارى وأحبار اليهود³.

¹ - الآية هي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هَدَمْتَ صَوَامِعُ وَبَيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

² - جولد تسيهر، العقيدة والشرعة، ص 19-20.

³ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 144.

(2)- المصادر الداخلية: والمقصود بالمصادر الداخلية؛ الأوهام النفسية والتخيلات التي كانت تصدر من ذات النبي صلى الله عليه وسلم، فجولد تسيهر يزعم أن الوحي ما هو إلا تخيلات وأوهام نفسية نابعة من ذات محمد ﷺ¹.

ويقول جولد تسيهر في ذلك: "لا نريد أن نتبع خطوة بخطوة المراحل (الباثولوجية)² التي نشأ فيها الشعور بهذا الوحي واعتقاده وتثبته لنفسه. ومن أجل هذا علينا أن نذكر كلمة ذات معنى قالها (هارناك)³ عن الأمراض التي تصيب الرجال الذين فوق البشر دون سواهم، والتي يستقون منها حياة جديدة كانت قبل ذلك مجهولة، كما يتخذون منها قوة تخدم جميع العقبات، ومن ذلك حمية النبي أو الحوارية"⁴.

وقال: "ومن خلال النصف الأول من حياته، اضطرت مشاغله إلى الاتصال بأوساط، استقى منها أفكاراً، أخذ يجترها في قرارة نفسه، وهو منظور في تأملاته أثناء عزلته، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة، والتي يلمح فيها أثر حالته المرضية، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين... وفي بدء رسالته كانت تأملاته تأخذ طريقها إلى الخارج في شكل أمثال مضروبة للحياة الأخرى كانت تفرض نفسها على مخيلته بقوة تزداد يوماً بعد يوم، وهذه التأملات هي التي كوّنت الفكرة الأساسية التي بنى عليها تبشيره"⁵.

فمن خلال هذين القولين يشير جولد تسيهر إلى أن النبي ﷺ ما كان يأتي به من الوحي ما هو إلا أمراض نفسية وأوهام وتخيلات كانت تنبع من ذاته صلى الله عليه وسلم، واستدل بذلك ما قاله العالم هارناك عن الأمراض التي تصيب الرجال الذين هم فوق البشر دون سواهم، تلك الأمراض يتخذون منها قوة تقضي على كل العقبات والعراقيل، ولا تكون إلا لأمثال الأنبياء والحواري، ثم أرجع

¹ - المرجع السابق، ص 155.

² - الباثولوجية: علم الأمراض بمعنى الشعور بالألم، هو فرع من الطب، يعني بدراسة طبائع الأمراض والتغيرات التركيبية والوظيفية التي تقتزن بمختلف الأمراض، وما تحدثه الأمراض في الأنسجة من تغيرات، أو ما تستثيره فيها من رد فعل وتغييرات يضمن ظواهر شتى؛ كالتحول والضمور والتضخم والالتهاب.

³ - أدولف فون هارناك (1851-1930م): لاهوتي ومؤرخ ألماني، درس في جامعة دوربات، وأنهى تخصصه باللاهوت بجامعة لايبزيغ فنال الدكتوراه بها عام 1874، وعيّن أستاذاً بها سنة 1876. أنظر: سوسن بيطار، "هارناك أدولف فون"، الموسوعة العربية، 09 أغسطس 2018، الساعة 12:00، <https://www.marefa.org>، اطلع عليه: يوم 2019/05/17.

⁴ - جولد تسيهر، العقيدة والشرعية، ص 12.

⁵ - المصدر نفسه، ص 13-14.

ما جاء به النبي ﷺ من وحي إلى ما استقاه من أفكار بني مجتمعه المعاش فيه، فبعزلته في غار حراء بعيدا عن ذلك المجتمع يقوم باسترجاع تلك الأفكار ليولد منها أمثالا مضروبة للحياة الآخرة، والتي كونت له فكرة رئيسية كي يبني عليها تبشيريه.

ففي نص جولد تسيهر هذا طعن واضح في نبوة محمد ﷺ، بزعمه أن التخيلات والأوهام النفسية النابعة من ذاته شكلت عنده ما يسمى بالوحي، فأكسبه هذا الوحي النبوة، وكلامه هذا معناه إنكار للنبوة والوحي¹.

ثانيا: افتراؤه على شخصية النبي ﷺ

1- إنكاره أن يكون النبي ﷺ قدوة للمؤمنين.

يقول جولد تسيهر: "لو أن الإسلام قد تمسك بشهادة التاريخ الحق تمسكا دقيقا لوجد أنه لا يستطيع أن يمد المؤمنين به بفكرة مثالية للحياة الأخلاقية، وهي فكرة اتخاذ الرسول مثلا أعلى واحتذائه، لكن المؤمنين لم يتركوا أنفسهم يتأثرون بصورة محمد كما رسمها التاريخ الصادق، بل حلَّ محلها منذ أول الأمر الأسطورة المثالية للنبي في رأيهم.

إن علم الكلام في الإسلام قد حقق هذا الطلب، بما رسم للنبي من صورة تمثله بطلا وغودجا لأعلى الفضائل، لا مجرد أداة للوحي الإلهي ولنشره بين غير المؤمنين، على أنه يبدو أن هذا لم يرد محمد نفسه، فقد قال إن الله أرسله ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا... وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: 45-46]. أي إنه مرشد لا نموذج ومثل أعلى، أو على الأقل إنه ليس كذلك (أسوة حسنة) إلا بفضل رجائه في الله وذكره الله كثيرا (سورة الأحزاب الآية: 21)².

ولقد كان - على ما يبدو - مدركا بإخلاص إدراكا صحيحا ضعفه الإنساني، وكان يريد أن يرى فيه المؤمنون رجلا له عيوب الإنسان، ومن ثم كان عمله أعظم من شخصه، ولم يشعر في نفسه أنه قديس، ولم يرد أنه يعتبر كذلك، (...) بل كان ضعفه البشري هو ما جعله يأبى أن يكون صاحب معجزات، على أن الزمان والبيئة قد سهلا له أن تكون له صفة القداسة"³.

¹ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 155.

² - قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

³ - جولد تسيهر، العقيدة والشرعية، ص 33-34.

وقال : "هذه التعاليم تتطلب رحمة جميع خلق الله، والأمانة في علاقات الناس بعضهم ببعض، والمحبة والإخلاص، وقمع الغرائز الأثرة، كما تتطلب سائر الفضائل التي أخذها الإسلام عن الأديان السابقة، التي يعترف محمد بأنبيائها أساتذة له، ونتيجة هذا كله أن المسلم الصالح يحيا حياة متفقة مع أدق ما تتطلبه الأخلاق"¹.

يرى جولد تسيهر من خلال ما قاله أن الإسلام لما أمر باتخاذ النبي ﷺ قدوة، ليست فكرة مثالية ولا أخلاقية، لأنه اعتبر أنّ النبي ﷺ كان مدركا إدراكا صحيحا ضعفه الإنساني، وأنه أراد من المؤمنين أن يروا فيه عيوب الإنسان، وأنه لم يشعر أن يكون بتلك المكانة حتى يرتقي إلى منزلة النبي، أو حتى أنه مؤيد بمعجزات من عند الله تعالى، وزاد تأكيده على أنّ ما جاء به النبي ﷺ هو ما كان من الأديان السابقة التي يعترف بأنبيائها أساتذة له.

وبناء عليه فإن جولد تسيهر ينكر أن يكون النبي ﷺ قدوة للمؤمنين، ويرجع السبب في ذلك إلى ضعفه الإنساني، وعدم الشعور بالقداسة في نفسه، وأنه مؤيد بالمعجزات².

(2) - دعوى عدم زهد النبي ﷺ وأن سبب فتوحاته الغنائم والأموال، وسفك الدماء.

قال جولد تسيهر: "إنه في المدينة فقط ظهر الإسلام نظاما له طابع خاص، وله في الوقت نفسه صورة الهيئة المكافحة، إنه في المدينة قامت طبول الحرب التي تَرَدَّدَ صداها في جميع أزمنة التاريخ، ووعاها التاريخ فيما وعى. في المدينة صار الرجل الذي كان بالأمس ضحية صابرة (...) صار هذا الرجل -وتلك حالته- ينظم أعمالا حديثة، كما ينظم طريقة توزيع الغنائم والأسلاب، ويضع قوانين لتنظيم الأموال والمواثيق، بعد أن كان زاهدا في المال وجمعه"³.

وقال: "ولا ننسى أن من الواجب علينا أن نوجه النظر إلى الطريقة التي حددت له رسالته وتحقيقها، خصوصا في العصر المدني، أي في الأثناء التي حدث فيها أن تحول من المتقشف المستسلم الصابر إلى رئيس الدولة المحارب. والفضل في إيضاح الموضوع يرجع إلى العلامة الإيطالي ليون كايثاني⁴

¹ - المصدر السابق، ص 29.

² - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 160.

³ - جولد تسيهر، العقيدة والشرعية، ص 17-18.

⁴ - ليون كايثاني (1869 - 1926م): وُلِدَ في روما وتخرج من جامعتها، تعلم عدة لغات منها العربية والفارسية، تقلّد سفارة إيطاليا في واشنطن. من آثاره نمو الشخصية الإسلامية، وكتاب انتشار الإسلام وتطور الحضارة انظر: العقيلي، المستشرقون، ج 1، ص 372.

في كتابه القيم (حوليات الإسلام)، فقد استعرض مصادر التاريخ الإسلامي استعراضاً عاماً، ونقدها نقداً دقيقاً عميقاً لم يسبق له مثيل في الأبحاث (...). إنه من الواضح أننا لا نستطيع أن نطبق في العصر المدني على عمل محمد المثل القائل: (الكلمة أقوى من السيف) فمنذ تزكّه مكة تغير الزمن ولم يصر واجبا بعد (الإعراض عن المشركين) (سورة الحجر الآية: 94)، أو دعوتهم كما يقول القرآن: ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125]؛ بل حان الوقت لتتخذ كلمته لهجة أخرى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: 5]؛ ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 244] فهو الآن يحمل السيف في العالم، ولا يكتفي بـ (عصاه التي يضرب بها الأرض) ولا بنفثات شفّيته لإبادة الكفرة، بل هو نفير الحرب الذي ينفخ فيه؛ وهو السيف الدامي الذي رفعه لإقامة مملكته، وفي رواية إسلامية متواترة، نتبين منها مهمته مركزه فيها، إنه يحمل اللقب الذي ورد في التوراة وهو (نبي القتال والحرب). إذًا، البيئة التي شعر أنّ من واجبه العمل فيها بأمر الله، لم تكن لتتيح له أن يعلل نفسه براحة مأمونة: (إن الله يحارب من أجلك)؛ بل كان عليه أن يقوم بكفاح مادي، في الأمة التي بُعث فيها وفي العالم كله، لضمان ذبوع دعوته والاعتراف بسيطرتها وتعاليمها، وكان هذا الجهاد المادي العالمي هو الوصية التي تركها محمد لخلفائه.

والنتيجة أنه يكن لم عنده أي إثارة للسلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ... فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: 33 - 35]، ويجب الجهاد حتى تكون [كلمة الله هي العليا]، ومن قعد عن الجهاد من المؤمنين اعتبر كأنه لا يأبه بإرادة الله، ومسألة الوثنيين الذين يصدون عن سبيل الله، لا يمكن أن تكون فضيلة: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 95 - 96] (...) وهكذا كان من الجهاد والنصر وسيلة الاعتبارين لرسالته النبوية"¹.

¹ - جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص 34-36.

تحدث عن جمع النبي ﷺ للغنائم بقوله: "وهذا ما فطن إليه النبي، حينما جدّ في إثارة حماس جنوده بواسطة (المغانم الكثيرة) التي وعد الله بها المجاهدين، وعندما نقرأ القصص القديم المغازي التي تدهش حقاً من بيان الأنصبة الجزيلة من الغنائم والسبايا، التي تجمعت عن هذه الحروب، وهذا ناموس طبيعي حتمي يترتب على كل حرب مقدسة"¹.

تحدّث جولد تسيهر في أقواله الماضية عن عدم زهد النبي ﷺ في المدينة، بعد ما كان يدّعي الزهد في مكة، وخاضعاً لأهلها ومستسلماً لهم، هاهو يغير هيئته بعد هجرته للمدينة، فأصبح همّه قرع طبول الحرب، وجمع الغنائم، وسفك الدماء وإزهاق الأرواح، بدعوى نشر الإسلام، هذا كي يضمن ذبوع صيت دعوته، حتى يمكّنه ذلك من نشر رسالته النبوية.

(3) - الزعم بأن النبي ﷺ رجل شهواني

قال جولد تسيهر: "ويمكننا أن نقرر دون ريب بصفة عامة، أن ميل النبي للنساء ميلاً كان مطرداً في الزيادة، وذلك كحقيقة تاريخية مدعومة بالأدلة والأسانيد، وأنها مع ذلك ظاهرة فريدة منقطعة النظير في الأدب الديني عند مختلف الأمم والعصور، وهي تلك التي يعرضها الإسلام في أخباره النبوية؛ إذ لم يحدث أن مثلت صورة مؤسس دين من الأديان، وأظهرت جوانبها الإنسانية في قالب إنساني بحت، كما مثّلت الأحاديث مؤسس الإسلام، وذلك من غير تشويه أو مساس بالصورة المثالية التي كوّنت عنه (...) وليس ما يدل على الاهتمام محاولة إقصاء صفة التأثير بالنزعات البشرية عن النبي، ولكن أصحاب السيرة يجتهدون - على نقيض هذا- أن يقربوا النبي للمؤمنين من الناحية البشرية تقريباً صريحاً واضحاً، وأن يؤكدوا هذا للخلف في العصور التالية؛ فقد روي عنه أنه قال: (إِنَّمَا حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ) مع هذه الإضافة: (وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)"².

في هذا القول يزعم جولد تسيهر أنّ النبي ﷺ رجل شهواني، ويظهر ذلك من خلال ميل النبي للنساء، وأنّ هذا الميل مطرداً منقطع النظير، في إشارة من تسيهر لتعدد زوجات النبي ﷺ، وادّعى أنّ النبي قد دَعَمَ ميله للنساء بحديثه (حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ) لكنّ المحدثين أدخلوا إلى

¹ - المصدر السابق، ص 134.

² - المصدر نفسه، ص 142-143.

هذا الحديث "وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"؛ وقد أضافوا هذا النصف الآخر حتى يحيطوا الرسالة المحمدية بالهالة التي يجب أن يحاط بها¹.

ثالثاً: إنكار جولد تسيهر لعالمية الرسالة

يرى جولد تسيهر أن "للباحثين آراء متعارضة أثّرت عنهم فيما إذا كانت فكرة محمد الأولى قد قُصِرَتْ على وطنه العربي، أو إذا كانت فكرته عن رسالته النبوية قد شملت ميداناً أوسع، وبعبارة أخرى، هل كان يشعر في قرارة نفسه أنه نبي وطني، أم نبي عالمي أُرسِل للناس كافة؟ أعتقد أننا نستطيع الأخذ بوجهة النظر الثانية، ولا يمكن أن يكون الأمر على خلاف ذلك (...) وبتبين ذلك مما جاء في القرآن: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، وإنك لمرسل ﴿وَلْتَنْذِرْ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: 92]، ولكن مما لا شك فيه أن نظرتَه الداخلية قد امتدت منذ أول رسالة إلى مدى أوسع وأفق أرحب، برغم أن أفقَه الجغرافي المحدود لم يكن ليترك له مجالاً للتفكير في دفع خطة أولية لدين عالمي، فمنذ بدء الأمر كانت فكرته عن رسالته أن الله أرسله ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] (...) فكلمة "العالمين" لها في القرآن دائماً معنى عالمي، فالله [رب العالمين]، وقد جعل ما أراده من اختلاف الألسنة والألوان آيات ودروساً للعالمين (سورة الروم: 21)².

إذاً المقصود هو الإنسانية بأوسع معانيها وذلك له ما يشبهه في إنجيل مرقس 15: 16³، كذلك توسع في رسالته حتى شملت كل المحيط الذي أدركته معلوماته، وبديهي أن مجهوده المباشر اتجه إلى عشيرته وبلاده أولاً، ولكن العلاقات التي أخذ - عند نهاية رسالته - في عقدها مع الدول الأجنبية، وكذلك الأعمال والمشاريع التي نظمها هذه وتلك، تكشف عن جهد تجاوز حدود الجزيرة العربية... والمتواتر من الأحاديث الإسلامية نفسها يعبر عن إدراك النبي بأن رسالته موجهة إلى الجنس الإنساني بأسره أو الناس كافة، ويبين ذلك فما تواتر من مثل هذه الأحاديث النبوية: (للأحمر والأسود)، فالطابع العالمي لرسالته يتسع حتى تشمل أوسع الميادين التي يمكن تصورها، وبحسب هذه الأحاديث نرى النبي قد عبّر عن فكرته في فتح العالم بأقوال واضحة، وتنبأ عنها بأعمال رمزية،

¹ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 177.

² - الآية قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَاوِيكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾

³ - الفقرة في إنجيل مرقس قوله: "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" السفر (16)، الفقرة: (15).

وبعض هذه الأحاديث ترى أن في القرآن نفسه وعدًا بفتح إمبراطورية فارس وإمبراطورية الروم قريباً (سورة الفتح : 19-20)¹(...) وعلى كل، فقد تحقق ذلك؛ إذ إنّ الإسلام بدأ، غداة وفاة مؤسسه، سيرة المنتصر في آسيا وإفريقية².

في هذا القول يُظهر جولد تسيهر أن الرسالة المحمدية رسالة عالمية، ويُرجّح أقوال الباحثين الذين قالوا بأن النبي ﷺ أرسل لكافة الناس بشيراً ونذيراً، ثم ذهب يستشهد على ذلك بما جاء من جملة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عموم رسالته ﷺ، الموجهة إلى الجنس الإنساني بأسره³، وأنها مطبوعة بطابع العالمية هذا في ظاهر قوله، وسيأتي تفصيل حقيقة قوله في المطلب الثاني، لكشف الحجب عن حقيقة ما قاله.

رابعاً: موقف جولد تسيهر من العصمة

ذهب جولد تسيهر إلى أن الإسلام يهتم بعصمة الأنبياء فقال: "إن الإسلام السُّنِّي يعلق أهمية كبيرة على مسألة عصمة الأنبياء، وما إذا كانوا بفضل نبوتهم مطَّهرين من الذنوب، كما يبحث على الأخص في عصمة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، والرد بالإيجاب على هذه المسألة هو دون ريب عقيدة يتحتم على كل مسلم أن يؤمن بها، فلم يتفقواً مثلاً على الحكم فيما إذا كانت العصمة تشمل العصر السابق للبعثة النبوية، أو فيما إذا كانت لا تبدأ إلا في اللحظة التي آلت فيها الرسالة إلى النبي. كما أن فقهاء السنة ليسوا متفقين في مسألة ما إذا كانت العصمة، التي هي من نصيب الأنبياء، تمتد إلى الكبائر أو تشمل كافة أنواع الأخطاء، والذنوب، ولا يرغب كثير من الفقهاء في الإقرار بهذا الامتياز، ماعدا عصمتهم عن اقتراف الكبائر، غير أنهم يعترفون بأنهم كسائر البشر معرضون لاقتراف أخطاء يسيرة أو على الأقل نوع من رد (الزلل)، وأنهم قد يُؤثِّرون طريقاً من طريقين، وهو أقلهما خيراً وفضلاً (...) ويبدو أن حدة الاختلاف بين الفقهاء في موضوع العصمة تقل كثيراً عندما يطبقونها على سيرة النبي؛ فالنبي قد عاش قبل بعثته كما عاش بعدها دون أن يرتكب كبيرة أو صغيرة"⁴.

1 - الآيات: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَعَآيِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

2 - جولد تسيهر العقيدة والشرعية، ص 39-40.

3 - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 184.

4 - جولد تسيهر، العقيدة والشرعية، ص 208.

كما يزعم جولد تسيهر أن هناك أدلة من السنة تناقض عقيدة العصمة إذ يقول: "وهذا دون ريب يناقض آراء الطبقة الأولى من المسلمين الذين أجروا على لسان النبي اعترافه بقابليته للخطأ وبحاجته إلى التوبة، لقد رووا عنه أنه قال: «يأأيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب في اليوم مائة مرة»؛ وقوله: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»¹.

وهذان الحديثان يتلاءمان مع هذا الدعاء للنبي: «رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي وَثَبِّتْ حُجَّتِي وَاهْدِ قَلْبِي وَسُدِّدْ لِسَانِي وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»² فإذا كان هناك اعتقاد بعصمة النبي لم يكن معنى لهذه الأحاديث ولا هذا الدعاء؛ وإذا لم يكن على بينة ما يدفعه إلى التوبة والاستغفار، لما أنزلت عليه الآية القرآنية: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:2]. في الوقت الذي شعر فيه بعظمة النصر الذي كتب له³.

وقد فسّر جولد تسيهر العصمة بالوحي حيث يقول: "وحاصل ما أوردناه من وجهة النظر الإعتقادية، أنه لا يوجد بين الآراء السُّنِّيَّة المختلفة المتعلقة بعصمة الأنبياء وعصمة محمد، رأي واحد يعتبر هذا الامتياز الخلقي شيئاً آخر سوى أنه "لطف" وهبّه الله تعالى للنبي، وليس منها ما يعتبر هذا الامتياز صفة ضرورية كامنة بطبيعتها في مادته.

كما أن عقائد أهل السنة لا تقحم قط، على أي وجه، هذه النقطة الإعتقادية في مسألة العصمة من الوجهة النظرية، بل الأمر على نقيض ذلك، فالفقهاء السُّنِّيُّون يعملون دائماً على تأكيد طبيعة النبي البشرية المحدودة، وإبرازها في دقة ومثابرة، إلى الدرجة التي يصبح فيها العلم الخارق للعادة والكامن في ذاته متنافياً تماماً مع الحقائق الأساسية عن صفة النبي وشخصه، ويقولون مثل هذا عن عصمته ورجحان نصيبه من العلم على نصيب غيره من الناس، وعندهم أن هذين ليسا فضيلة عامة كامنة في شخصه، ولكنها نتيجة الهداية والحكمة التي لُقِّنها الله له في حالات معينة خاصة، والمسلم يؤمن بصدق النبي للتسليم بصحة ما أتى به كوحي إلهي.

¹ - مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب استحباب الاستغفار، حديث رقم (2702)، تحقيق: محمد فؤاد

عبد الباقي، (د ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، ج 4، ص 2075.

² - أحال جولد تسيهر في حاشية كتابه العقيدة والشرعية لهذا الحديث: إلى "كتاب أمالي القاضي، ج 2، ص 267 " أنظر:

ص 370.

³ - جولد تسيهر، العقيدة والشرعية، ص 209.

وإذا كان الله قد اصطفاه للرسالة، فهذا لأنه اختير مترجماً ومعيّراً عن الإرادة الإلهية وليس لاستعداده الشخصي لهذا، وهو لا يستخدم في أداء رسالته النبوية موهبة عقلية فائقة ترفعه فوق مستوى العلم البشري. وقد فصل القرآن هذا الرأي بطريقة واضحة دقيقة، ولم تتعد الطبقات الأولى من علماء الكلام والفقهاء، وقد رغب خصوم النبي في إحراجه بالاستفهام منه عن أشياء لا يعرفها، فقال: (مالي يسألوني عما لا أدري؛ إنما أنا عبد لا علم لي إلا ما علمني ربي عز وجل)¹. ويرى أهل السنة أنَّ من الزيغ أن يزعم الإنسان الإحاطة بالغيب، ويعُدُّون هذا الزعم جحوداً للآية القرآنية: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: 65]. وهذا النفي يشمل حتى النبي ذاته، فماذا يكون إذاً حال غيره من الناس!².

في الأقوال الآتية الذكر؛ يذكر جولد تسيهر أنَّ عصمة الأنبياء من المسائل التي يجب على المؤمن الاعتقاد بها، وأنه منذ أقدم العصور لم يتفق الفقهاء في مسألة العصمة، ولم يتفقوا كذلك على أنَّ العصمة هل كانت تشمل العصر السابق للبعثة النبوية أم لا؟، أو هل كانت تمتد إلى بعدها؟، كما أن العصمة هل تكون في الكبائر أو الصغائر؟. وذهب إلى أنه بالرغم من الاختلاف الحاصل بين المسلمين فيم تكون العصمة، وأنه هناك أدلة من الكتاب والسنة تناقض مبدأ العصمة؛ إلا أنهم أثبتوها للنبي ﷺ³.

المطلب الثاني: الرد على مطاعن جولد تسيهر في النبوة

أولاً: الرد على أن ما جاء به النبي ﷺ مرجعه المصادر الداخلية والخارجية

1- المصادر الخارجية

حتى نرد على المستشرق جولد تسيهر، لابد أن نوضح حقيقة التأثيرات المتبادلة بين الأديان، وذلك لبيان مدى هذه التأثيرات على الإسلام.

أ- إن هناك تأثيراً دائماً يتعين تحديده من خلال عوامل ومعطيات التي يكون قد تمخض عنها في نطاقه، وهاته العوامل التي نتحدث عنها هنا المقصود منها العامل المكاني والذي يمثل امتداد الدولة

¹ - أحال في حاشية العقيدة والشرعية: إلى "كتاب حياة الحيوان للدميري، ج 2، ص 216، مادة (غزنيق)" أنظر: المرجع السابق، ص 209.

² - جولد تسيهر، العقيدة والشرعية، ص 208-210.

³ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 193.

الإسلامية بانتصاراته الأولى، والعامل الزمني الذي يحدد فترة الحضارة الإسلامية والتي تزيد عن ألف سنة، والعامل اللغوي والثقافي الذي ينتشر في شتى أصقاع العالم الإسلامي، وهذه العوامل كان لها الدور الكبير سواء في التأثير أو التأثير¹.

أمّا حقيقة هذا التأثير فتكمن في أن الأمم من شأنها أن تقتبس من شؤون المعرفة والعلم ما تشاء، ولكنها لا تستطيع أن تعتنق عقيدة الحضارة الأخرى، ولا ثقافتها الروحية، والفكرية، والاجتماعية، لأن كل حضارة وثقافتها الفكرية والروحية، وعقيدة تعتقد بها. " فأوروبا حين نقلت المنهج العلمي التجريبي من المسلمين لم تنقل مفاهيم الشريعة الإسلامية، بل حين نقلت بعض قوانين هذه الشريعة دون بعضها الآخر، لم تنقل روحها وقيمها، ولا عقيدتها " ².

أ- لا يمكننا القول أنه يوجد تأثير بين وحي ووحى، بل يوجد امتدادا وتوصلا بين الديانات، إذ "ليس من المفروض في الديانات السماوية أن تتعارض أو تتناقض في أصولها، أو مبادئها، أو تشريعاتها، بل من المفروض فيها أن تتلاقى وتتفق مادامت واحدة المصدر، ويدعم بعضها بعضاً، وأن يكون المتأخر منها متمماً للسابق منها، وهذه هي حقيقة الدين الرباني المنزل من السماء"³.

ب- وبناء عليه فإن الدين الإسلامي الذي جاء به النبي ﷺ ليس بدعا عن غيره من الأديان، وإنما هو خاتم وملخص الأديان السماوية السابقة له، لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 9]، ويقول ﷺ: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: 43]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ [آل عمران: 81]. ومن هذه الآيات القرآنية المبينة، يتبين أن اعتبار الوحي قد خضع لتأثير يهودي أو نصراني أو بأي دين آخر، يظل مفتقرا إلى الدليل والبرهان، ويبدو أن ما ذهب إليه جولد تسيهر من أن ما جاء به محمد ﷺ ما هو إلا موروثات يهودية ونصرانية يعود إلى أمرين:

الأول: ما كان يحمله جولد تسيهر من غرور علمي، الذي بات مشغولا باستكشاف الأصول اليهودية والمسيحية، والتي لم يصل من خلالها إلى نتائج حاسمة أخيرة وبقينية، إلا إشارات لمقابلات

¹ - المرجع السابق، ص 144.

² - محمد البشير مغلي، مناهج البحث في الإسلاميات، ص 100.

³ - حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ط 7، دار القلم، دمشق، 1994م، ص 137.

واضحة جلية، ثم إزجاء الحديث في معرض هذه المقابلات، وهو حديث يتخذ سمة التعالم أو التجادل حول الواضح الجلي¹.

الثاني: العداء التاريخي القديم، "فهناك اتصال عضوي مُسلّم به بين اليهودية والمسيحية، لكن ليس من المُسلّم به أو المدعم بالبرهان العلمي وجود أي علاقة اتصال بين أيهما وبين الإسلام، وإنما نجم العداء اليهودي المسيحي للإسلام من صراع سياسي وعقائدي على مدار التاريخ"².

ومما سبق عرضه يتضح أن جولد تسيهر إيماناً منه بما يحمله من مرجعية يهودية التي ينتسب إليها، اختلق معطيات من أصوله وذلك لإنكار الوحي الإلهي الذي جاء به النبي ﷺ، وقد أثرت هذه المرجعية الدينية على أعماله وعن الإسلام بشكل كلي. "وقد تجلّى الالتقاء بين هذا اليهودي المتأخر وبين أسلافه في إنكار نبوة محمد ﷺ وردّ لكل المسيحيين الذين كانوا يتوجهون إليه طالبين رأيه في اعتناق الإسلام قائلاً: لماذا تتحولون إلى الإسلام، إن لديكم ديناً طيباً"³.

ج- ادّعى جولد تسيهر أنّ النبي ﷺ ما تلقاه من وحي ما هو إلا ما كان من تعاليم اليهودية والمسيحية، لكنه لم يدعّم ما قاله بمصدر موثوق، ولم تكن له إلا شواهد أصول مصادرها من العناصر الأجنبية، بكل تدليس خبيث واحتيال ماهر، وقد ألصق تلك العناصر بالقرآن الكريم الذي جاء به النبي ﷺ من عند الله جلّ جلاله.

د- ذكر المركز المهم الذي حظيت به مكة المكرمة، وأنها كانت مركزاً مهماً كذلك لعبادة الأوثان، والناظر في الأمر سيبحث كذلك عن اليهودية من عبادة الأوثان، والتاريخ نفسه يثبت أن أبواب مكة كانت موصدة في وجه اليهود الذين نشأوا في شمال الحجاز. "كما زعم أن النبي تأثر بتعاليمهم في إنكار طمع الأغنياء من قريش، وتعلقهم بأعراض الدنيا الزائلة، فهل يمكن من سبيل أن تقاس مادية الأشراف المكيين من قريش، بوثنية عبدة العجل؟ أو يمكن المقارنة بين ظلم سدنة الكعبة للفقراء، وضراوة أكلة الربا"⁴.

قال محمد الغزالي في كتابه دفاع عن العقيدة والشرعية: "إن الوحي المكي جمع كل الآداب، والوصايا، والمبادئ الرفيعة الموزعة في صحائف العهدين القديم والجديد، وزاد آداباً، ووصايا، ومبادئ

¹ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 146.

² - محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط 4، مكتبة وهبة، مصر، 1964م، ص 593-599.

³ - لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، (د ط)، مكتبة العبيكان، الرياض، (د ت)، ص 217.

⁴ - عائشة عبد الرحمن، الإسرائيليات في الغزو الفكري، (د ط)، دار غريب، القاهرة، (د ت)، ص 113.

أخرى التي يحتاج إليها الإنسان في تقويم فطرته، وصيانة حياته إلى جانب ما صحَّح من عقائد، واستنَّ من شرائع لم تكن معروفة للعبادات الصحيحة من قبل. فكيف يوصف ما جاء به محمد ﷺ في مكة لم ييشر بدين جديد؟¹.

هـ- ركّز جولد تسيهر على الظلم الاقتصادي في البيئة المكية، وأنَّ النبي ﷺ كان محاربا لمادية وكبرياء الجاهلية، فتحكّم في طبقات مجتمعتها، وهنا أدخل الوحي في مقاومة العوامل السياسية والاقتصادية، والحقيقة التي أبداها تسيهر مجرد وهم، لأنَّ الوحي لم يكن بصلة مباشرة بالعوامل السياسية والاقتصادية السائدة في مكة أو غيرها من بلاد العرب².

و- يشير إلى أفكار النبي ﷺ بعد هجرته إلى يثرب، أمّا كانت مألوفة وأقل غرابة لأهل المدينة، في تمهيد له إلى دعوى تأثر النبي ﷺ مباشرة بيهود يثرب، دون أن يشير إلى استعداد عرب المدينة لقبول النظام الديني. " فالقول بالتأثر الديني لأهل يثرب قبل الإسلام والهجرة بالدين اليهودي الذي كان له ممثلون كثيرون بينهم ينفية أن التاريخ لا عهد له بتمثيل اليهود للدين الموسوي، وأنَّ الدنيا لم تسمع قط بمبشر يهودي للدين، وإنما كانت التجارة والربا عملهم الواحد الذي لاتعرف الدنيا لهم سواه"³.

ز- ذكر أنَّ الرسول ﷺ تحوّل في العهد المدني إلى دين إبراهيم ﷺ، وأحيا تقاليده، أما في مكة فلم يكن هناك شيء من هذا، "وهذا كذب، لأن القرآن المكي جاء فيه قول الله جل شأنه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13] (...) ثم إن محمدا ﷺ كان يقرأ في مكة هذه الآيات: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: 14 - 19].

فكيف يقال إن محمدا لم يدعُ إلى دين إبراهيم ﷺ إلا في المدينة بعدما عدل موقفه في مكة؟⁴.
أمّا الرد على ما يزعمه جولد تسيهر بأنَّ النبي ﷺ كان أساتذته اليهود والنصارى، فقد تكفل القرآن بالرد على هذا الافتراء، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103].

¹ - محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشرعية، ط 7، دار نخضة، مصر، 2002م، ص 23.

² - حمزة بن عبد المطلب عزيز، " موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية "، ص 148.

³ - عائشة عبد الرحمان، الإسرائيليات في الغزو الفكري، ص 115.

⁴ - محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشرعية، ص 26.

(2) - المصادر الداخلية:

أ- إن تفسير جولد تسيهر للوحي الإلهي باستخدامه المنهج النفسي (السيكولوجي)، جعله يزعم أن النبي ﷺ اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارا أخذ يجترها في قرارة نفسه، كما لمح إلى حالة النبي ﷺ المرضية، واستدل بذلك من المؤلف هارناك عندما تحدث عن الأمراض التي تصيب الرجال الذين هم فوق البشر دون سواهم. "وهنا يشير تسيهر إلى عدم إمكان الوحي، واستحالة حدوثه، وأن ما يقوله الأنبياء عن الوحي هو عبارة عن مسألة نفسية ترجع إلى تشبع المرء بحالة خاصة من فرط استغراقه فيها، ولكنه لم يوضح لنا تلك الأمراض التي تصيب الرجال فيصبحون عظماء، ويتخذون منها قوة لهدم جميع العقبات، لأنه من المعروف عقلا وعادة أن الأمراض مهما كانت طبيعتها نفسية أو جسدية، تؤدي إلى هبوط القوى العقلية والجسدية، ولا يحقق المصاب بها إلا الضعف والهوان ثم الاضمحلال العقلي والجسدي"¹.

ب-) "ادّعى جولد تسيهر أن النبي استقى أفكارا اجتزها في قرارة نفسه أثناء عزلته في غار حراء، في إشارة إليه إلى ما يسمى بالوحي النفسي، والذي يروجه المستشرقون والملحدون، زاعمين أن هذه التسمية هي رأي علمي جديد، وما هو بجديد، وإنما هو الرأي الجاهلي القديم، الذي أخذ به أهل الجاهلية في عهد النبي ﷺ حين قالوا أنه رجل ذا خيال واسع وإحساس عميق، فهو إذن شاعر، ثم زعموا أن وجدانه يطغى كثيرا على حواسه، حتى يتخيل أنه أرسل إليه ملك يكلمه، وما حُيِّل إليه ما هو إلا من أخيلة وجدانه الداخلي، فهو إذن مجنون أو أضغاث أحلام، فأبي جديد في هذا كله؟"².

ج-) إن التاريخ قد أثبت أن النبي ﷺ لم يكن مصابا بأي شيء من الأمراض النفسية، وأن الوحي أمر خارج عن نفس النبي ﷺ، إنما حمله جبريل عليه السلام من عند الله إليه، قال سبحانه ﷻ: ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: 192 - 194] كما وصف النبي ﷺ الوحي المنزل عليه، وصفا دقيقا، حيث قال ﷺ: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك

¹ - ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ص 304.

² - عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، ط 1، دار القلم، دمشق، 2005م، ص 97.

رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول»¹. " وفي كلتا الصورتين أثبت النبي ﷺ أنه كان واعياً وعياً كاملاً لحالته قبل الوحي، وحالته أثناء الوحي، سواء أخفت أم اشتدت وطأة النازل عليه².

ثانياً: الرد على افتراءاته على شخصية النبي ﷺ

1- إنكاره أن يكون النبي ﷺ قدوة للمؤمنين

يدّعي جولد تسيهر أن الإسلام يعجز عنه أن يمد المؤمنين بصورة مثالية عن الحياة الأخلاقية، وأن حياة النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم يكتنفها الضعف الإنساني، لذلك هي لا تصلح لأن تكون نموذجاً للمسلمين، وأن علم الكلام هو من ساهم في رسم الصورة الأسطورية للرسول الكامل، واستدل بذلك على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: 45-46]. فهو يرى في معناها أن النبي ﷺ يرشد الناس بلسانه فقط، أما سيرته ومسالكه فليست مما يُقَلَّد فيه، ولا يصلح أن يكون مثلاً أعلى للآخرين³. واستدل أيضاً على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21] الناطقة بأن على المؤمنين الاقتداء برسولهم، لأنه أسوة حسنة، فهم هذا المستشرق هذه الآية فهما سيئاً، ففهم معناها أن الرسول ﷺ هو ذلك الشخص الذي يرجو الله واليوم الآخر، وأنه لم يتجاوز مرتبة الرجاء في الله، لأن عمله لا يرشحه إلا لهذه المرتبة.

أمّا قوله بأن علم الكلام هو من يسد النقص في القيم الروحية عند المسلمين، وأن هذا العلم اختلطت فيه المعرفة الإسلامية بالفلسفة الأجنبية، فما علاقة صلة هذا العلم بتصوير المثل العليا للمسلمين؟

ثم يقول إن محمداً لم يزعم للناس أنه قدّيس، إن محمداً ﷺ لم يصف نفسه، ولا وصفه أتباعه بأوصاف رهبان الكنائس، لأنه قدّم للناس كتاب الله وسنته، كي يصلهم بالله رب العالمين، ولم يرض قط أن يكون كاهناً، أو ينصب نفسه وسيطاً بين العباد وربهم⁴.

¹ - البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي، حديث رقم (2)، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط 1، دار

طوق النجاة، 1422هـ، ج 1، ص 6.

² - صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط 10، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م، ص 28.

³ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 161.

⁴ - محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشرعية، ص 34-35.

"إن ميزة الدين الذي جاء به محمد ﷺ أنه يجعل كل إنسان مسئولاً عن نفسه، فهو بتساميه يستطيع أن ينال الرضا الأعلى، وهو يستحق غضب ربه؛ ولا مكان لدخيل من الكهّان الذين يزعمون بيع المغفرة أو تحمّل الخطايا"¹.

2- الرد على دعوى عدم زهد النبي ﷺ وأن سبب فتوحاته الغنائم والأموال، وسفك الدماء.

أ- إن مما اتضح سالفاً أن جولد تسيهر لم يطل التفكير في اختراع الأسباب والدوافع من الفتوحات الإسلامية، ذلك لمعاصرتة الحقبة الزمنية من الحرب العالمية الأولى، فرسم صورة النبي ﷺ مثلما كانت تفعل الدول القوية لغزو واستعمار الدول الضعيفة في الحرب العالمية، فزعم أن النبي ﷺ حتى يضمن ذبوع دعوته كان يكافح كفاحاً مادياً، حيث كان الجهاد المادي العالمي هو وصيته التي تركها لخلفائه، ولم يكن عنده أي إثارة للسلام. وذكر أنه نقل هذه المقولات من كتاب حوليات الإسلام للمستشرق الإيطالي ليون كاتيان، وكان له في الأصل أن ينقل الحديث عن النبي ﷺ من مصادره الأصلية المتعلقة بالسيرة والأخبار، لكنه عمد إلى ذلك من أجل التزييف والتحريف والافتراء على النبي ﷺ.

ب- يزعم هذا المستشرق أنه لم يعد واجباً على النبي ﷺ الإعراض عن المشركين بعدما ترك مكة، فقد تغير الزمن بعد خروجه منها، واستند إلى قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: 5] "وفي هذا مغالطة لما جاء به القرآن الكريم، لأن ما نزل من قرآن في المدينة كرّر المعاني نفسها التي بمكة، من صفح على الكافرين، وتركهم وما يدينون حتى ينكشف لهم الحق فيقبلوه إن شاءوا، أو يرفضوه دون عدوان"²، "ففي سورة البقرة وهي مدنية: قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 109]؛ وفي سورة المائدة وهي مدنية عن اليهود: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 13]؛ فمنهج محمد ﷺ لم يتغير، وتعاليم الإسلام لم تضطرب"³.

¹ - المرجع السابق، ص 36.

² - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 169.

³ - محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة، ص 46.

ج- زعم جولد تسيهر أن النبي ﷺ أقام مملكته بالسيف الدامي، وذلك ليذيع صيت دعوته وتنتشر؛ ويتبين من هذا أن الإسلام انتشر بالقوة والسيف، وهذا ما يهدف إليه الغربيون من وراء زعمهم أن الإسلام يجبر المخالف للدخول قهراً في دين الإسلام، ويتوهمون إبعاد الإسلام حرية الفكر، والرحمة والإنسانية¹. فالتوراة نصّت على حمل السيف، بهدف القتل للقتل، والقتل للفساد، والقتل للعلو في الأرض بغير الحق "حين تقرب إلى المدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى العلم وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك التسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها حد السيف"².
كما أن الإنجيل نصّ على حمل السيف " لا تظنّوا أنّي جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً"³. "ومن ليس له سيف فليبع ثوبه ويشتري سيفاً"⁴.

فالملاحظ أنه لا خلاف بين الشرائع في حمل السيف، وإنما الخلاف في الهدف المرجو من حمله، والأسباب التي حُمل بسببها، والأسلوب الذي حُمل به، والإسلام كغيره من الشرائع حمل السيف، فإذا لم يكن هناك بُدٌّ من استعماله فلا يُحْمَلُ، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمُوهُمْ فَاسْتَخْلِفْهُمْ مِمَّا فُتِنُوا بِهِمْ وَقَعَتِ الْوَاقِعُ فَإِنْ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ وَتَقَسَّطُوا مِنْهُمْ فَمَا لَهُمْ شَيْءٌ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ الْفَاسِقِينَ﴾ [النساء: 90]. وقوله ﷺ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [النساء: 91]. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الممتحنة: 8 - 9].

لقد عرف العالم في الفتوحات الإسلامية من لدن محمد ﷺ وجه الصواب في استعمال السيف، وكيفيه أنه لم يكره شعباً، ولا فرداً، على اعتناقه وجعل من المعاهدات التي وقّعها مع الشعوب وثائق مقدّسة لا قصاصات ورق، ولا يحق للنصارى، ولا غيرهم، أن يتّهموا الإسلام بأنه دين العنف والقتل وسفك الدماء، وفي كتابهم المقدّس من النصوص ما يفهمهم ويدينهم. هذا إذا ما قورن بتاريخهم الأسود الذي كان السيف فيه هو الرفيق الأوحّد للصليب أينما سار وصل ومشى وارتحل⁵.

¹ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 170.

² - الكتاب المقدّس، سفر التثنية، الإصحاح (20)، الفقرة (10 - 16).

³ - المصدر نفسه، إنجيل متى، الإصحاح (10)، الفقرة (34).

⁴ - المصدر نفسه، إنجيل لوقا، الإصحاح (22)، الفقرة (37).

⁵ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 171.

د- ظنَّ جولد تسيهر أنَّ النبي ﷺ ترك الزهد الذي كان عليه في مكة وطمع في الدنيا وهو في المدينة بما سيق له من الغنائم والأموال؛ والرَّدُّ على ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: « ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بُرِّ ليالٍ تباغًا حتى قبض »¹.

وفي حديث آخر عن عروة عن عائشة أنها كانت تقول: « والله يا ابن أخي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين ما أوقد أبيات رسول الله نار، قال: قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله من ألبانها فيسقيناه »².

هذا ما حكته لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، في تصوير لنا لحالة رسول الله ﷺ، وحالة أهله في المدينة، ولا تجد أئمنًا رضي الله عنها غضاضة في نشر ذلك؛ لأن بيت النبوة ليس بيت دنيا، ولا بدخ ولا ترف.

3- الرد على زعمه بأن النبي ﷺ رجل شهواني

أ- زعم جولد تسيهر أن النبي ﷺ كان رجلا شهوانيا، وكان ميله للنساء مطَّردًا منقطع النظير، في إشارة منه إلى إخضاع النبي ﷺ للتنظير الفرويدي الإباحي، وأنه تحكم عليه نزواته وشهواته، وتسيطر عليه غريزته الجنسية، فيقع تأثيرها على أفكاره وسلوكه، ومن ثمَّ إنكار رسالته، كونه يحصل له ما يحصل لكل البشر.

ب- ما كان النبي محمد ﷺ رجلا شهوانيا، وإنما شرَّع الزواج حتى يتبين أنه من جنس البشر، وما هو بإله ولا ابن إله، كما يعتقد النصارى، وهنا نجد أنه لم يستق تعاليمه من النصارى الذين يعتقدون في النبي أنه إله أو ابن إله، لولاه لما كان نبيا، ولكنه نبي مُرْسَلٌ من عند الله تعالى، فضله على سائر البشر بالوحي والرسالة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: 110]، وأن الرسول لم يبتدع سنة جديدة لما تزوج، فالأنبياء والرسل قبله كانوا قد سنَّوا هذه السنة وهي الزواج، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ [الرعد: 38]، وكذلك مسألة التعدد؛

¹ - مسلم، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، رقم الحديث (2970)، ج 4، ص 2281.

² - المصدر نفسه، رقم الحديث (2973)، ج 4، ص 2282.

لم يخالف فيها الرسول ﷺ الأنبياء قبله، فقد كانوا يعدّدون هم كذلك عليهم السلام، كما ثبت ذلك في الكتاب المقدّس¹؛ ذلك الكتاب الذي يؤمن به جولد تسيهر نفسه، ويستدل به، فلماذا أنكر ذلك على النبي ﷺ؟ أم أنّه يؤمن ببعض الكتاب المقدّس ويكفر ببعض !

ثمّ إنّ النبي ﷺ إذا كان همّه الشهوة والغريزة الجنسية، لكان قد عدّد قبل وفاة السيدة خديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، فشخص في مثل سنّه ﷺ الخامسة والعشرين هو في أوجّ شهوته الجنسية وقوّتها، ثمّ إن في تعداده للزوجات لم يكن يحث عن الجميلة وصاحبة المال، فاخترت السيدة عائشة رضي الله عنها لصغر سنّها، وأمّ سلمة رضي الله عنها لأنها كانت أرملة، وكان نكاحها إنسانياً لحمايتها بعد وفاة زوجها، ومن هذا أيضاً زواجه من سودة رضي الله عنها التي ترمّلت وكانت امرأة مسنّة فتزوجها عليّاً، ومن هذا أيضاً زواجه من أمّ حبيبة التي ارتد عنها زوجها عبد الله بن جحش في الحبشة، وتركها وحيدة، " ومن الأنكحة التي أقدم عليه النبي الكريم - بسبب إنساني بحت - زواجه من صفية بنت حُيي رضي الله عنها التي كانت من سبايا خيبر فأعتقها وتزوجها لأنه أراد إكرامها باعتبارها من عليّة القوم"².

فمن هنا يتبين أن جميع زوجاته الطاهرات ثيبات وأرامل ماعدا السيدة عائشة رضي الله عنها فهي بكر، وهي الوحيدة من بين نسائه التي تزوجها وهي في حالة الصبا والبكارة، فلو كان المراد من الزواج السعي وراء الشهوة، أو السير مع الهوى، أو الميل المطرد إلى النساء كما يدّعي جولد تسيهر لتزوج في سن الشباب لا في سن الشيخوخة، وتزوج الأبنكار الشابات، لا الأرامل المسنّات³.

ج- بالرغم من تعدد زوجاته ﷺ، إلا أنّ ذلك لم يكن مانعاً له من القيام بجميع حقوق الله تعالى باعتباره نبياً، كما أنّ ذلك أيضاً لم يقف عائفاً لقيامه بشؤون الدعوة إلى الله، وأداء جميع الحقوق الاجتماعية التي تفرضها وضعيته باعتباره قائداً للأمة. وهذا يدل على أنّ النبي ﷺ لم يكن يشغله موضوع المرأة في حياته، وحين نقول موضوع المرأة فالمقصود هنا مسألة العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة، فقد كان النبي ﷺ يقوم بحفظ حقوق أهله وفي الوقت نفسه يبلغ ما كلّفه به ربّه ﷻ، ولذلك

¹ - ذكر في الكتاب المقدّس، سفر التكوين قوله: " وأخذ عيسو نساءه من بنات كنعان: عدا بنت إيلون الحشي، وهو لبيامة

بنت صعبون الحوي، بسمة بنت إسماعيل أخت ينايوت" سفر التكوين، الإصحاح (36)، العدد (2-3).

² - عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422هـ، ص 214.

³ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، " موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية "، ص 179.

فهو مثال يُحتذى به ﷺ¹. "وقد أنكر جولد تسيهر هذا النموذج المثالي الذي رسمه الرسول الكريم لأُمته، وهو توسطه واعتداله بين الدنيا والدين، فهو يرى أن حديث "حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم النساء والطيب" من قول النبي، لأن ذلك يوافق ادّعاءه بميل النبي للنساء، أما النصف الآخر "وَجُعِلَتْ قَرَّةٌ عيني في الصلاة" يخالف النصف الأول، لذلك يزعم أنّ علماء المسلمين هم الذين أضافوه ليحيطوا الرسالة بالهالة التي يجب أن يحاط بها"².

ثالثاً: الرد على إنكار جولد تسيهر لعالمية الرسالة المحمدية

(1)- رأينا مما سبق أن آراء جولد السابقة حول عالمية الرسالة يتبين في ظاهرها أنه يتبنى القول بعالميتها، وقد قرّر بشكل جيد هاته المسألة، وفنّد رأيه بدعائم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأوضح أنّ كلمة "العالمين" وحدها كافية لعموم رسالة النبي ﷺ، لكن هذا المستشرق متناقض في كتاباته التي يكتبها حول هذا الشأن، ففي كتابه العقيدة والشريعة ينكر فيها صراحة عالمية رسالة محمد ﷺ، فيعرّضُ على أقواله بطريقة فيها من التحايل والالتواء ما فيها؛ ومن أقواله في ذلك :

أ- قوله: "ومن الخطأ الخطير أن تنسب للقرآن أكبر القيم في بيان طابع الإسلام بوجه عام، كما أننا من باب أولى لا نستطيع أن نؤسس حُكمنا على الإسلام مستندين إلى هذا وحده المقدّس لدى الأمة الإسلامية، والواقع أنّ هذا الكتاب لم يحكم الإسلام إلا في خلال العشرين سنة الأولى من نموه"³.

ب- وقوله أيضاً: "أتاح أناطول فرانس⁴ في قصته Sur la pierre blanche لجماعة مثقفة تهتم بأحوال العالم القديم (...) وقد أجرى على لسان أحدهم، وقد تشعّب الحديث هذه الحكمة: (إنّ من يؤسس ديناً لا يدري ماذا يفعل) أي (إنّه من النادر أنه يدرك مؤسس الدين مدى أثر عمله على تاريخ العالم)؛ وهذه الكلمة تنطبق أفضل انطباق على محمد (...) وإنه من ناحية أخرى لم تكن النُظُم

¹ - لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص 431.

² - محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة، ص 139.

³ - جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص 41.

⁴ - أناطول فرانس (1844 - 1924 م): روائي قصصي فرنسي، وُلِدَ في باريس، كان أبوه بائع كتب، فتكوّن ذهنه في جو من عقول القدماء والمحدثين من الكُتّاب والحكماء، انتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية عام 1896 م، حاز جائزة نوبل في الآداب عام 1920 م، من أشهر رواياته "الزنبقة الحمراء". أنظر: أناطول فرانس، الزنبقة الحمراء، ترجمة: أحمد الصاوي، ط 1، دار المدى للنشر، أبو ظبي، 1998 م، ص 8.

التي وضعها في حياته لتكفي للعلاقات الكبيرة التي واجهها الإسلام الفاتح منذ الأيام الأولى؛ فقد كان تفكير الرسول متجهاً فقط ودائماً إلى تلك الأوضاع الضرورية أولاً وبالذات ¹.

فهنا نجد أن جولد تسيهر أخذ ما قاله الروائي أناتول فرانس أن من يؤسس ديناً لا يدري ماذا يفعل، وأسقطه على النبي ﷺ - تعالى الله ما يقول علواً كبيراً -، " وقد استدل جولد تسيهر من هذه الرواية على أن محمداً ﷺ عندما جاء بالإسلام لم يكن يدري أن دينه سينتشر، ولم يكن يعلم - على فرض انتشاره - أنه سيدخل هذه البقاع الفسيحة من أرض الله، وتبعاً لعدم الدراسة بهذا السير للإسلام، وعدم الإدراك لامتداده هنا وهناك لم يزوده محمد بالأصول المناسبة لهذا التوسع ².

فخطأ جولد تسيهر في كلامه واضح جلي؛ وذلك من خلال:

- استشهاد بالروايات والقصص الساخرة، وذلك ليثبت أو ينفي أمراً من أمور الإسلام، دون أن

يرسم لنا الصورة الحقيقية لرسالة النبي ﷺ، برجوعه إلى المصادر الإسلامية الصحيحة .

- أن رأيه هذا الذي قاله يخالف تماماً ما أثبتته في مسألة عالمية الرسالة، وإثباته أن النبي ﷺ قد عبّر بفكرته الدينية بأقوال واضحة من أجل فتح العالم، في إشارة منه لنفي الوحي الإلهي، وتنبأ لما سيقع لبعض الأمم بأعمال رمزية، كما وعد بفتح فارس والروم. وفي هذا دليل صريح لتناقض كلامه وإنكاره لعالمية رسالة النبي ﷺ نبي الإسلام.

ج- قوله كذلك: " ليس الأنبياء من رجال علم الكلام، فالرسالة التي يأتون بها بدافع إدراكهم المباشر، وكذلك المعارف الدينية التي يوقظونها، لا تتمثل كهيكل مذهب مبني طبقاً لخطة روى فيها مقدماً، بل كثيراً ما تتصدى كل محاولة للتنسيق المذهبي.

يجب إذناً، الانتظار إلى أن تأتي الأجيال التالية، حيث تؤدي الثقافة المشتركة للأفكار المستقاة من الأنصار والأوائل، إلى تكوين طائفة محددة؛ عندئذ تتخذ تلك الأفكار شكلاً مجسماً، عن طريق وسائل داخلية في الطائفة نفسها أو بفعل تأثيرات البيئة المحيطة، وهذه الأفكار تتقدم بواسطة من يشعرون أنهم مختارون ليكونوا المفسرين لما أتى به النبي، بذلك يسُدُّون ما يكون في التعاليم النبوية من ثغرات ³.

¹ - جولد تسيهر، العقيدة والشرعية، ص 43.

² - محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشرعية، ص 52.

³ - جولد تسيهر، العقيدة والشرعية، ص 77.

فهنا ذكر جولد تسيهر مقدمة مفادها أنَّ الأنبياء ليسوا رجال علم الكلام، ثم توصل إلى نتيجة خاطئة وهي أنَّ ما يأتون به من معارف إنما هو بدافع إدراكهم المباشر، وكذا تلك المعارف الدينية التي يوقظونها، فهي إذاً لا تشكِّل مذهباً كاملاً متناسقاً جاءوا به من عند أنفسهم، فهم بحاجة إلى انتظار الأجيال اللاحقة حتى يكملوا ويسدُّوا ما يكون في التعاليم النبوية من ثغرات،¹ وهذه القراءة الاستشراقية للوحي، كان لها تأثيراً كبيراً على القراءة الحديثة.

فيتَّضح ممَّا قاله هذا المستشرق، أنَّ ما جاء به النبي ﷺ هو من عند نفسه لا أكثر ولا أقل، لذلك هو صالح للزمن الذي كان فيه فقط، والمكان الذي ظهر فيه فقط، وعليه لا تصلح لأن تكون رسالته عالمية لكل زمان ومكان، ورأيه هذا يتعارض مع ما قاله في مسألة إثباته لعالمية الرسالة.

(2) - يكفي الردّ على هذا الادّعاء، ما جاء في القرآن الكريم، فالله ﷻ قال في مُحكم تنزيله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158] وغير ذلك من الآيات القرآنية الدالة على عموم الرسالة؛ وهاته الصفة لم يخص الله بها أحداً من أنبيائه؛ وكذلك ما جاء في السنّة النبوية المطهّرة من أحاديث، كافٍ لردّ هذا الادّعاء؛ لقوله ﷺ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ» وذكر منها «وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً»². وقوله ﷻ أيضاً: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»³؛ ومن أقواله ﷻ أيضاً في ذلك قوله: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ»⁴. وغير ذلك أيضاً من الأحاديث الصحيحة المتواترة عن النبي ﷺ في إثبات عالمية الرسالة المحمدية. "فالنبي ﷺ كان مصيراً في أقواله على أنَّ الإسلام ليس ديناً محلياً يتّصل بمؤلاء العرب وحدهم بل هو دين كل من بلغه من خلق الله ويكلف كل ذي سمع وبصر باتّباعه"⁵.

¹ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 186.

² - مسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب جعلت لي الأرض مسجداً، حديث رقم (523)، ج 1، ص 371.

³ - البخاري، الصحيح، كتاب التيمم، حديث رقم (335)، ج 1، ص 74.

⁴ - أحمد، مسند أحمد، حديث رقم (1426)، تحقيق: شعيب أرنؤوط، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421 هـ، ج 22، ص 166، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

⁵ - محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة، ص 53.

رابعاً: الرد على ادعاء جولد تسيهر أن النبي ﷺ ليس معصوماً

1- قبل أن أتطرق إلى الردّ على هذه الشبهة؛ لابد أن أذكر التعريف اللغوي والتعريف الشرعي لمصطلح العصمة، والأدلة التي تثبت العصمة من القرآن والسنة.

أ- تعريف العصمة لغة: قال ابن منظور: "العصمة في كلام العرب المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه ممّا يوبقه، يقال عصمه، يعصمه، عصما: منعه ووقاه"¹. وقد ورد هذا المصطلح بهذا المعنى في القرآن الكريم والسنة المطهرة. ففي القرآن الكريم قال الله سبحانه وتعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام وابنه: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: 42 - 43]. وقال تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: 32]. وقال ﷺ في حق النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67]. وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»² "كما يرد بمعنى الحفظ، ويأتي أيضا بمعنى القلادة، والجمع أعصام"³.

وبالإمعان في هذه المعاني جميعها يتضح أن جميعها يرجع إلى المعنى الأول وهو المنع، فالحفظ هو منع الشيء من الوقوع في المكروه، والقلادة تمنع سقوط الخرز منها، وعليه فإن مادة (عصم) في الآيات السابقة والحديث النبوي الشريف تدور على المنع، والامتناع، وهو أصلها في الوضع اللغوي.

ب- تعريف العصمة شرعاً: وردت عدّة تعريفات في ذلك، وسأذكر هنا ما رأيته يُجمل كل التعريفات والذي يوافق تقريباً ما جاء في التعريف اللغوي، وهو: "لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء والتكليف"⁴. فنلاحظ أنه يوجد توافق تقريباً بين التعريف اللغوي والتعريف الشرعي، فالله ﷻ يمنع النبي ﷺ من الوقوع في الشر ويحمّله على فعل الخير.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 403.

² - مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم الحديث (22)، ج 1، ص 53.

³ - زين الدين الرازي، مختار الصحاح، ط 5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، ج 1، ص 211. وانظر أيضاً: أحمد القرويني، مجمل اللغة، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ج 1، ص 53.

⁴ - شهاب الدين المصري، نسيم الرياض في شرح شفاء اللقاضي عياض، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ج 5، ص 144.

(2) - "يذكر جولد تسيهر أنَّ الإسلام السُّنِّي الذي يقصد به أهل السُّنَّة يعلق أهمية كبيرة على مسألة العصمة، يعلق أهمية كبيرة على مسألة عصمة الأنبياء، وأنها مما يُحْتَمُّ على كلِّ مسلم أن يؤمن بها، وبرغم من أنها من أصول عقائد المسلمين إلا أنَّ فقهاءهم اختلفوا على الحكم فيها إذا كانت العصمة تشمل العصر السابق للبعثة النبوية، أو إذا كانت لا تبدأ في الوقت الذي أرسل فيها رسول الله ﷺ".¹

كما يزعم أنَّ هذا الخلاف بين الفقهاء في مسألة العصمة، ليس له أهمية كبيرة عندما يطبقونه على سيرة النبي ﷺ بالرغم من حدِّته، وأنهم أزالوا كل الذنوب التي وقعت في حقه ﷺ، في محاولة منهم لإثبات العصمة له. لكن أهل السنة كان موقفهم اتجاه هذا الزعم الإجماع على أنَّ النبي ﷺ معصوم، وأنَّ الله حفظه من الشرور قبل البعثة وبعدها، بل كانت حياته أمثل وأكرم وأشرف، بل إنه كان يمتاز بالأخلاق النبيلة والسَّامية، وعظمة النفس، ورجاحة العقل.²

فالنبي ﷺ لم يكن أبداً على دين قومه قبل البعثة، من عبادة اللَّات والعزَّى، والشرك بالله، بل وُلد مسلماً مؤمناً، معصوماً، من الكفر، لقوله ﷺ: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ»³. قال الحافظ ابن رجب: "يُسْتَدَلُّ بهذا الحديث على أنَّه ﷺ وُلد نبياً، فإنَّ نُبُوَّتَهُ وجبت له من حين أُخِذَ الميثاق، حيث اسْتُخْرِجَ من صُلْبِ آدَمَ فكان نبياً حينئذٍ، لكن كانت مدَّةُ خروجه إلى الدنيا متأخرة عن ذلك، وذلك لا يمنع كونه نبياً قبل خروجه"⁴. وروى مسلم عن أنس بن مالك أنَّ رسول ﷺ: «أَتَاهُ جَبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَّامِ، فَأَخَذَهُ فَصْرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً، فَقَالَ: هَذَا حِطُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ»⁵. وهذا الحديث هو أكبر دليل على عصمة النبي ﷺ قبل البعثة، وذلك حين أخذ جبريل عليه السلام قلب النبي ﷺ وأخرج منه حِطَّ الشَّيْطَانِ، وبهذا يكون النبي ﷺ طاهراً في قلبه، وصافياً في عقيدته. فعن هشام بن عروة عن أبيه قال: حَدَّثَنِي جَارٌ، لَحْدِيحَةٌ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أَنَّهَا سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ لَلْحَدِيحَةِ: «أَيُّ خَدِيحَةٍ، وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ، وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ الْعُزَّى أَبَداً»⁶.

¹ - حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، ص 195.

² - المرجع نفسه، ص 196.

³ - أحمد، مسند أحمد، رقم الحديث (17150)، ج 28، ص 380، قال الأرناؤوط حديث صحيح لغيره.

⁴ - الحافظ بن رجب، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ط1، دار ابن حزم، الرياض، 2004 م، ج 1، ص 82.

⁵ - مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإسرائ برسول الله إلى السماوات، رقم الحديث (162)، ج 1، ص 147.

⁶ - أحمد، مسند أحمد، رقم الحديث (17947)، ج 29، ص 467، قال الأرناؤوط حديث إسناده صحيح.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ بِأَسْفَلِ بَلَدِ حِمْيَرَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيُ، فَقَدَّمَتْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَفَرَةً طَعَامٍ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ أَكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلَا أَكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذِبَائِحَهُمْ وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ إِنْكَاراً لَذَلِكَ وَإِعْظَاماً لَهُ»¹. ويتّضح من هذا الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَأْكُلُ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ، وَفِي ذَلِكَ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ ﷻ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿حَرَّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَخُمُ الْحَنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةَ وَالْمَوْقُوذَةَ وَالْمُتَرَدِّيَّةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: 3]، وهذا دليل على عصمة النبي ﷺ قبل البعثة.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لَمَّا بُنِيَتْ الكعبة ذهب النبي ﷺ والعبّاس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك، فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، فقال: أرني إزاري فشده عليه» وفي حديث زكريا بن إسحاق: «فسقط مغشياً عليه، فما رأي بعد ذلك عُرياناً»². فمن حفظ الله ﷻ ولنبهه ﷺ قبل البعثة، أن حفظه من الظهور عُرياناً، أو أن تبدو عورته.

وأكبر دليل عن عصمته ﷺ قبل البعثة، أنه كان لا يسمر في الملاهي وأماكن الغناء والمزامير، ومختلف الميولات الفطرية منذ صغره وصدر شبابه، وقد تحدث النبي ﷺ عن ذلك فقال: «ما هَمَمْتُ بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهْمُون به، إلَّا مرَّتين من الدَّهر، كليهما يعصمني الله منهما، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام أهله يرعاها: أبصر إلى غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة، كما يسمر الفتیان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنى دار من دُور مكة، سمعتُ غناء وضرب دُفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوِّج فلانة، لرجل من قريش تزوِّج امرأة من قريش، فلَهَوْتُ بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلَّا حرُّ الشَّمس فرجعتُ فقال: ما فعلت؟، فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجتُ، فسمعتُ مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي، فلَهَوْتُ بما سمعتُ حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلَّا مسُّ

¹ - البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن نفيل، رقم الحديث (3826)، ج 5، ص 40.

² - المصدر نفسه، كتاب الصلاة، باب كراهية التَّعَرِّي في الصلاة وغيرها، رقم الحديث (364)، ج 1، ص 82.

الشمس، ثم رجعتُ إلى صاحبي فقال: فما فعلت؟ قلت: ما فعلتُ شيئاً، قال رسول الله ﷺ: فوالله ما هممتُ بعدها بسوءٍ مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته¹. وكل هذه الأدلة وغيرها كثير، التي تدل على أن النبي ﷺ كان معصوماً من الكفر والشيطان، قبل البعثة النبوية وبعدها، تماماً كما أجمع عليه مَنْ يُعْتَدُّ به من فقهاء الأمة المسلمين. قال القاضي عياض: "لم ينقل أحد من أهل الأخبار أنَّ أحداً نُبِّئَ واصطفى مَنْ عُرِفَ بكفر قبل ذلك (...). واعلم أنَّ الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان وكفائته منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس"².

وهكذا مما سبق ذكره بالأدلة القطعية من القرآن والسنة، يتّضح بطلان ما زعمه جولد تسيهر أنَّ فقهاء المسلمين لم يتفقوا في أي مسألة من مسائل العصمة.

(3) - ادّعى هذا المستشرق أن النبي ﷺ قد اعترف بنفسه بقابليته للخطأ وحاجته للتوبة، ويستدل بذلك من خلال أحاديث أُجْرِيت على لسانه ﷺ، ممَّا يناقض عقيدة العصمة عند المسلمين . واستشهد بحديث: "يا أيها الناس: توبوا إلى ربكم فإنِّي أتوب في اليوم مائة مرة" وفي إحالته على هذا الحديث، أحوال إلى كتاب "طبقات بن سعد"؛ كما استدلل أيضاً بحديث: "وإنَّه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة" وأحوال إلى كتاب "شرح الفقه الأكبر"، كما ذكر أن الحديثين يتلاءمان مع دعاء النبي ﷺ: "رب تقبل توبتي، وأجب دعوتي، واغسل حوبتي، وثبّت حُجَّتِي، واهد قلبي وسدّد لساني واسل سخيمة قلبي" وأحوال إلى كتاب "أمالي المقالي"، وكان الأولى به أن ينقل الحديث من كتب الأحاديث الصحيحة، هذا إن فرضنا أنَّ استدلاله صحيح، فالحديثان السابقان ذكرهما مسلم في صحيحه³، والدعاء ذكره الترمذي في سننه⁴. ثم ذهب يُورد قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2]، في إشارة منه إلى أنه يوجد تضارب وتناقض بين الآيات والأحاديث في عقيدة العصمة، والغرض من هذا هو نفي العصمة عن النبي ﷺ .

¹ - ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، ذكر خبر المدحض قول من زعم أنَّ النبي على دين قومه قبل أن يوحى إليه،

رقم الحديث (6272)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ - 1998م، ج 14، ص 169.

² - القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (د ط)، دار الفكر، طرابلس، 1988م، ج 2، ص 111 - 117.

³ - مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب استحباب الاستغفار، حديث رقم (2702)، ج 4، ص 2075.

⁴ - الترمذي، الجامع الصحيح، باب من نفل التوبة والاستغفار، رقم الحديث (3551)، تحقيق: أحمد شاکر وآخرون، ط 2،

مصر، 1975 م، ج 5، ص 554.

وفي ردِّ على ادِّعاءاته نقول: أنَّ الآيات والأحاديث لا تضارب ولا تناقض فيما بينها، بل هي متلائمة ومتفقة مع ما جاء في مذهب أهل السنة والجماعة فيما يخص مسألة عصمة الأنبياء عموماً، وعصمة النبي محمد ﷺ خصوصاً، وقد ذكر الحافظ ابن رجب في شرح الحديث فقال: "وقد استُشْكِل وقوع الاستغفار من النبي ﷺ وهو معصوم، والاستغفار يستدعي وقوع المعصية، وأجيب بعدة أجوبة منها ما تقدّم في تفسير الغين ومنها قول ابن الجوزي: (هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد والأنبياء، وإن عُصِمُوا من الكبائر فلم يُعَصِّمُوا من الصغائر كذا)، ومنها قول ابن بطّال: (الأنبياء أشد الناس اجتهاداً في العبادة لِمَا أعطاهم الله تعالى من المعرفة فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير انتهى. ومحصّل جوابه أنَّ الاستغفار من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله تعالى، ويحتمل أن يكون لاشتغاله بالأمر المباحة من أكل وشرب أو جماع أو نوم أو راحة أو مخاطبة الناس والنظر في مصالحهم ومحاربة عدوهم تارةً وغير ذلك"¹.

فالغين الذي ورد في الحديث "وإنه ليغان على قلبي" فسره العلماء كما ذكر آنفاً هفوات الطباع البشرية، وهي الصغائر التي وقعت من النبي ﷺ التي لم يُقر عليها واستغفر منها، وكذلك فُسِّر باشتغال النبي ﷺ في النظر إلى مصالح أمته وقد اعتبرها النبي ﷺ ذنباً بالنسبة إلى عظيم منزلته، كما فُسِّر أيضاً بأنه غين أنوار لا غين أغيار، فالنبي ﷺ يرتقي من نور إلى نور بالاستغفار من النور الذي كان فيه. أمّا ما يؤيد قول ابن بطّال (الأنبياء أشد الناس اجتهاداً في العبادة لِمَا أعطاهم الله تعالى من المعرفة فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير انتهى) هو حديث أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أنَّ النبي ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غُفِرَ لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً»². وقد وضع البخاري هذا الحديث تحت: قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، قال الحافظ ابن حجر في الآية: "وقال قوم وقوع الصغيرة جائز منهم فيكون الاستغفار من ذلك"³.

¹ - أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (د ط)، دار المعرفة، بيروت، 1379 هـ، ج 11، ص 101 - 102.

² - البخاري، الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب "ليغفر الله لك..."، حديث رقم (4837)، ج 6، ص 135.

³ - ابن حجر، فتح الباري، ج 11، ص 198.

فالأيات والأحاديث استدلت بها على العلماء على مسألة عصمة النبي ﷺ من الصغائر المتمثلة في الهفوات، كونه من الجنس البشري؛ وعليه فإنه لا تضارب ولا تناقض في الوحي (القرآن والسنة) في عقيدة العصمة، وما أراد جولد تسيهر إلا إثارة الشبهات ونفي هذه العقيدة.

(4) - ممّا سبق؛ اتّضح أنّ جولد تسيهر حاول إثبات التناقض الحاصل في الآيات والأحاديث التي وردت فيها عصمة النبي ﷺ لينفيها، ثمّ تطرّق إلى شبهة أنه لا يوجد سوى مفهوم واحد بين آراء أهل السنة المختلفة؛ وهو أنّ العصمة ما هي إلّا لطفُ الله تعالى بنبيه ﷺ قد وهبه له. ثمّ راح يفسّر العصمة بالوحي؛ باعتبار الوحي هو علم خارق للعادة، وعلى هذا القول فإنّ العصمة تتناقض تماماً مع الطبيعة البشرية، لأنّ مصدرها إلهي، كما يدّعي أنّ فقهاء المسلمين يرجّحون نصيب النبي ﷺ من العلم على نصيب غيره من النّاس، بالرّغم أنّه لا يتميز عنهم بشيء كونه من البشر، إلّا أنّ الله تعالى اصطفاه عنهم نتيجة الهداية والحكمة التي كان يلقّنها له في حالات معينة، وليس بسبب استعدادة الشخصي للنبوة، ممّا جعل المسلمون يسلمون له بصحة ما أتى به.

ويتّضح أنّ هذا المستشرق أخذ من التعريف¹ ما يخدم ويدعم ادّعاءه، وبني على ذلك أدلته، فعرفّ العصمة أيضاً باللطف الإلهي لنبيه، ثمّ عبّر عن اللطف بالوحي المنزل على النبي ﷺ، وهنا نجد تناقضاً وتضارباً في أفكار هذا المستشرق؛ فقد أثبت فيما سبق ذكره² أنّ الوحي مرجعه المصادر الداخلية والخارجية، هاهو الآن يثبت بأنّ الوحي منزل من عند الله تعالى على نبيه، بل يدعم كلامه بأنّ الوحي هداية وحكمة إلهية، يصطفّيها الله من يشاء تعبيراً عن إرادته، وهو قمة التّخبط .

(5) - إنّ جولد تسيهر أثار الشبهات حول مسألة عصمة النبي ﷺ والتي كان موقفه منها الإنكار، وسبب ذلك إيمانه الشديد بمرجعية العهد القديم اليهودي، والذي جاء فيه: أنّ التوراة المحرّفة مليئة بما نسبته اليهود إلى الأنبياء والمرسلين من القبائح، من ذلك زعمهم أنّ نبي الله هارون صنع عجلاً، وعبداه مع بني إسرائيل³، وأنّ إبراهيم الخليل عليه السلام قدّم امرأته سارة إلى فرعون حتى ينال الخير

¹ - التعريف الذي أقصده هو تعريف العصمة شرعاً: "لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء والتكليف".

² - ذكر سابقاً أنّ ما جاء به النبي ﷺ يرجع إلى المصادر الخارجية والداخلية؛ وعبّر عن المصادر الداخلية أنّ النبي ﷺ خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكاراً أخذ يجترها في قرارة نفسه.

³ - أنظر: الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح (32)، الفقرة (1).

بسببها¹، ومن ذلك أيضا أنَّ سيدنا لوطا عليه السلام شرب خمراً حتى سكر، ثم قام على ابنتيه فزنى بهما الواحدة بعد الأخرى²، وأنَّ داوود عليه السلام زنى بزوجة رجل من قُوَاد جيشه، ثمَّ دبَّر حيلة لقتل الرجل، فقتله وأخذ داوود الزوجة وضمَّها إلى نسائه، فولدت له سليمان³. لذلك يستغرب جولد تسيهر من عصمة النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة دون أن يرتكب صغيرة أو كبيرة، وأنَّ الأنبياء قبله ارتكبوا تلك الكبائر بعدما كانوا أنبياء .

ثم أرفق تسيهر مسألة العصمة بمسألة الاقتداء، فجعل من العصمة سبيلاً للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله، ولكن بزعمه أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن أسوة لأتباعه، ولم يكن أنموذجاً يحتذى به لضعفه الإنساني؛ كما ذكر في كتابه العقيدة والشرعية⁴، فالعصمة بهذا الزعم ممتنعة عليه، إذ يرى أنَّه كيف يكون معصوماً من الذنوب والمعاصي، وهو لا يمدُّ المؤمنين بفكرة مثالية للحياة الأخلاقية.

وخلاصة القول من هذا المبحث، أنَّ موقف جولد تسيهر من النبوة هو الإنكار التام، فقد ادَّعى وزعم وافترى على النبي صلى الله عليه وآله، فطعن فيه بما جاء به، وقال: مرجعه المصادر الداخلية والخارجية، وطعنه في شخصه صلى الله عليه وآله فأنكر عليه أن يكون قدوة للمؤمنين، ووصفه بأنه يلهث وراء الدنيا ومتاعها من أموال، وحب للنساء في استجابته صلى الله عليه وآله لرغبته الجنسية الجامحة، كما أنكر عليه عالمية الرسالة التي بُشِّر بها من عند الله عز وجل، وكذلك نفى عليه أن يكون معصوماً من الكبائر والصغائر، فهو كغيره من البشر يخطئ ويصيب ويرتكب المعاصي والآثام، وما هدف هذا المستشرق إلا زعزعة عقيدة المسلمين، وتشكيكهم في نبينهم صلى الله عليه وآله، والتشكيك في النبوة سبيل للتشكيك في الله سبحانه، وهذا الهدف يُعدُّ من بين الأهداف التي بُني عليها الاستشراق، والتي كانت سبباً في ظهوره، فجولد تسيهر كغيره من المستشرقين الحاقدين على الإسلام، ينكرون من أصول الإيمان ما ينكرون، سواء في النبوة أو غيرها من الأمور العقدية، التي تُمسِّكُ الإيمان وتُقوِّيه، في محاولة منهم إلى القضاء على هذا الدين.

¹ - أنظر: المصدر السابق، سفر التكوين، الإصحاح (12)، الفقرة (14).

² - أنظر: المصدر نفسه، الإصحاح (19)، الفقرة (32).

³ - أنظر: المصدر نفسه، سفر صموئيل الثاني الإصحاح (11)، الفقرة (4).

⁴ - أنظر: جولد تسيهر، العقيدة والشرعية، ص 33.

خاتمة

في ختام هذا البحث، وفي محاولة للإجابة عن الإشكالية التي طرحتها في مقدمته، والتي تتعلق رأساً بإرادة الوقوف على موقف جولد تسيهر من النبوة في الإسلام؛ فقد توصلت إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

- (1)- موقف جولد تسيهر من النبوة هو إنكار نبوة النبي محمد ﷺ، والافتراء عليه.
- (2)- اعتمد جولد تسيهر في إنكار النبوة على أحاديث ملفقة ومكذوبة، وترك الصحيحة من أجل التشكيك وزعزعة العقيدة، كما فسّر الآيات والأحاديث الدالة على النبوة برأيه الخاص، ولم يعتمد على ما جاء من تفاسير القرآن الكريم المعمول بها، وكذا شروحات الحديث المعتمدة.
- (3)- يُعدُّ كتاب جولد تسيهر "العقيدة والشرعة" من أخطر الكتب على الإسلام؛ لما يحمله هذا الكتاب من مزاعم وشبهات كان لها آثار كبيرة على حقل الدراسات الاستشراقية وتداعياتها على حقل الدراسات الحديثة المعاصرة التي تقوم أساساً على محاولة نزع القداسة عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثانياً: التوصيات

- ولعلّ من أهم التوصيات التي يمكن الحث على العمل بها ما يأتي:
- (1)- توضيح أثر دراسات المستشرق جولد تسيهر على التصوف الإسلامي.
 - (2)- دراسة مناهج جولد تسيهر الاستشراقية، دراسة تفصيلية، وإظهار أثرها على الفكر الحديث في العالم الإسلامي من خلال محاولة ربط هذه الدراسات الحديثة المعاصرة لقضايا العقيدة الإسلامية وأصولها من قرآن وسنة بالدراسات الاستشراقية رأساً.

وصلّى اللهم وسلّم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس قائمة المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأْمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاي فَاتَّقُونَ﴾	البقرة	41	7
﴿وَلَا تَلْسِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	البقرة	42	7
﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	البقرة	54	23
﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	البقرة	75	7
﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	البقرة	105	7
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	البقرة	109	49
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	البقرة	244	38
﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	آل عمران	72	7
﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾	آل عمران	81	44
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾	آل عمران	100	7

هـ	102	آل عمران	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
هـ	1	النساء	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾
50	90	النساء	﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾
38	95	النساء	﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
38	96	النساء	﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾
58	3	المائدة	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾
49	13	المائدة	﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
62	67	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾
40	92	الأنعام	﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾
55	158	الأعراف	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
38، 49	5	التوبة	﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾
9	32	التوبة	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ

			نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٠﴾
56	42	هود	﴿يُنِيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾
56	43	هود	﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّغْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴿١٠٢﴾﴾
56	32	يوسف	﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴿١٠٣﴾﴾
51	38	الرعد	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴿١٠٤﴾﴾
9	9	الحجر	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠٥﴾﴾
46	103	النحل	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٦﴾﴾
38	125	النحل	﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴿١٠٧﴾﴾
51	110	الكهف	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴿١٠٨﴾﴾
6	5	الأنبياء	﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴿١٠٩﴾﴾
40، 55	107	الأنبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١١٠﴾﴾
34	40	الحج	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَلَّامَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١١١﴾﴾
7	4	الفرقان	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿١١٢﴾﴾
7	5	الفرقان	﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١١٣﴾﴾
47	192	الشعراء	﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾﴾
47	193	الشعراء	﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٥﴾﴾
47	194	الشعراء	﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٦﴾﴾
40	214	الشعراء	﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾
43	65	النمل	﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴿١١٨﴾﴾

40	21	الروم	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾
36، 48	21	الأحزاب	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾
36، 48	45	الأحزاب	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾
36، 48	46	الأحزاب	﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾
هـ	70	الأحزاب	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾
هـ	71	الأحزاب	﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾
55	28	سبأ	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾
44	43	فصلت	﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾
46	13	الشورى	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾
44	9	الأحقاف	﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّن الرُّسُلِ﴾
38	33	محمد	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾
38	35	محمد	﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُم أَعْمَالَكُمْ﴾
47، 67، 68	2	الفتح	﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾
41	19	الفتح	﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ

			أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٠٠﴾
41	20	الفتح	﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾
50	8	المتحنة	﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
50	9	المتحنة	﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
7	-24 25	المدثر	﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾
46	-14 19	الأعلى	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
«يأيها الناس توبوا إلى ربكم فإنني أتوب في اليوم مائة مرة»؛ وقوله: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»	59، 42
«رَبِّ تقبل توبتي وأجب دعوتي واغسل حوبتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلِّ سخيمة قلبي»	59، 42
« ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بُرِّ ليالٍ تباعًا حتى قبض »	51
« والله يا ابن أخي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين ما أوقد أبيات رسول الله نار، قال: قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله من ألبانها فيسقيناه »	51
«فُضِّلْتُ على الأنبياء بستٍ» وذكر منها «وأُرْسِلْتُ إلى الخلق كافة»	55
«وكان النبي يُبعثُ إلى قومه خاصَّةً وُبعثُ إلى الناس عامَّةً»	55
«بُعِثْتُ إلى الأحمر والأسود»	55
«أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم»	56
«إِنِّي عند الله في أُمِّ الكتاب لحاتمُ النبيين، وإنَّ آدمَ النَّبِيَّ لَمُنْجِدٌ في طينته»	57
«أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشقَّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقةً، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثمَّ غسله في طسِئتٍ من ذهبٍ بماء زمزم»	57
خديجة، والله لا أعبد اللآت، والله لا أعبد العزرى أبدًا	57
«أنَّ النبي ﷺ لَقِيَ زيدا بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فَقَدَّمْتُ إلى النبي ﷺ سفرة طعام فأبَى أن يأكل منها، ثمَّ قال زيد: إِنِّي لَسْتُ أَكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ على أنصابكم، ولا أَكُلُ إِلَّا ما ذُكِرَ	58

	اسم الله عليه، وأنَّ زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثُمَّ تذبجونها على غير اسم الله إنكاراً لذلك وإعظاماً له»
58	«لما بُنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ والعبّاس ينقلان الحجاره، فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك، فخرَّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، فقال: أرني إزاري فشده عليه»
58 – 59	«ما هممتُ بقييح ممّا كان أهل الجاهلية يهْمُون به، إلّا مرّتين من الدّهر، كلتيهما يعصمني الله منهما، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام أهله يرعاها: أبصر إلى غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة، كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنى دار من دُور مكة، سمعتُ غناء وضرب دفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوّج فلانة، لرجل من قريش تزوّج امرأة من قريش، فلَهَوْتُ بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلّا حرُّ الشّمس فرجعتُ فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجتُ، فسمعتُ مثل ذلك، فقبل لي مثل ما قيل لي، فلَهَوْتُ بما سمعتُ حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلّا مسُّ الشّمس، ثمّ رجعتُ إلى صاحبي فقال: فما فعلت؟ قلت: ما فعلتُ شيئاً، قال رسول الله ﷺ: فو الله ما هممتُ بعدها بسوء ممّا يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته»
60	«أنَّ النبي ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غُفِر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً»

فهرس الأعلام

(أ)

- إبراهيم جيجر، ص 16
- أدولف فون هارناك، ص 35، 47.
- أكسفورد، ص 2، 3، 4.
- أناتول فرانس، ص 53، 54.

(ب)

- البخاري، ص 60.
- بروكلمان، ص 14.
- البستاني، ص 5.
- ابن بطال، ص 60.
- بطرس المحترم، ص 8.
- بولينوس، ص 2.
- بيكر، ص 12، 18.

(ت)

- الترمذي، ص 59.

(ج)

- جريير، ص 8.
- ابن الجوزي، ص 60.
- جولد تسيهر، ص (هـ، و، ز، ح)، ص 1، 2، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 62، 64.
- جوستاف تيخسن، ص 10.

(ح)

- الحافظ بن حجر ص 60.

- الحافظ بن رجب، 57، 60.
- حمزة بن عبد المطلب عزيز، ص 32.

(ر)

- ابن رشد، ص 29.
- رودي بارت، ص 13.
- ريسكه، 10، 14.

(ز)

- الزمخشري، ص 29

(س)

- ساسي سالم الحاج، ص 13.
- السهروردي، ص 29.

(ع)

- ابن عربي، ص 29.

(ف)

- فلايشر، ص 12.
- فيستنفلد، ص 14.

(ق)

- القاضي عياض، ص 59.

(ك)

- كارل ماركس، ص 24.
- كريستمان، ص 10.

(ل)

- ليون كاييتاني، 37.

(م)

- مارتن هارتمان، ص 12.

- محمد الغزالي، ص 29، 45.
- محمد فتح الله الزياي، ص 13.
- ابن منظور، ص 56.
- مسلم، ص 57، 59.
- منير البعلبي، ص 5.
- مكسيم رودنسون، ص 4.

(ن)

- نجيب العقيلي، ص 22.

(هـ)

- هارتموت بوبتسين، ص 11.

(ي)

- يوليوس فلهاوزن، ص 16.

فهرس قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم)

ثانياً: المصادر

- أحمد القزويني، مجمل اللغة، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 م، ج 1.
- أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (د ط)، دار المعرفة، بيروت، 1379 هـ .
- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، تحقيق شعيب أرناءوط، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421 هـ .
- جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، ط 2، مصر، دار الكتب الحديثة، 1959 م.
- جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، (د.ط)، مصر، مكتبة الخانجي، 1995 م.
- الحافظ بن رجب، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ط 1، دار ابن حزم، الرياض، 2004 م .
- ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناءوط، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408 هـ - 1998 م، ج 14.
- زين الدين الرازي، مختار الصحاح، ط 5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999 م، ج 1.
- زين الدين عبد الرحمان ابن رجب، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرناءوط وآخرون، ط 7، بيروت، 1422 هـ .
- القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (د ط)، دار الفكر، طرابلس، 1988 م، ج 2.
- الكتاب المقدس.

- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط 1، دار طوق النجاة، 1422هـ .
- محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق أحمد شاکر وآخرون، ط 2، مصر 1975م .
- مسلم بن حجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت) .
- ابن منظور، لسان العرب، ط 1، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ج 10.

ثالثاً: المراجع

- ادوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د.محمد عناني، ط 1، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2006م.
- أمين عمر مصطفى، المستشرق جولد تسيهر والسنة، ط 1، الأردن، دار الأعلام، 2011م.
- بشير مغلي، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، ط 1، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث، 1422 هـ.
- حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ط 7، دار القلم، دمشق، 1994م.
- حيدر قاسم مطر التميمي، علم الكلام الإسلامي في دراسات المستشرقين الألمان يوسف فان أس أنموذجا، ط 1، بيروت، لبنان، دار الروافد الثقافية، 2018م.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، ط 15، لبنان، دار العلم للملايين، 2002م، ج 1.
- الرؤوف محمد عوني، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ط 1، المجلس الأعلى للثقافة، 2004م.
- رضوان السيد، المستشرقون الألمان النشوء والتأثير والمصائر، (د ط)، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007م

- ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية، ط 2، مركز دراسات العالم الإسلامي، 1993م.
- سيجموند فرويد، حياتي والتحليل النفسي، ترجمة: مصطفى زيور وعبد المنعم المليجي، ط 4، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
- شهاب الدين المصري، نسيم الرياض في شرح شفاء للقاضي عياض، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م .
- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط 10، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م .
- صلاح منجد، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ط 1، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1998م.
- عائشة عبد الرحمان، الإسرائيليات في الغزو الفكري، (د.ط)، دار غريب، القاهرة، (د.ت).
- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط 3، بيروت، دار العلم للملايين، 1993م.
- عبد الرحمان طه، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ط 4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2010م.
- عبد العظيم الديب، المنهج عند المستشرقين، (د.ط)، (د.ن)، مكتبة المهتدين الإسلامية، 1993م.
- عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422هـ .
- عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، ط 1، دار القلم، دمشق، 2005م .
- عبد الله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فاهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، ط 1، فيرجينا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1417هـ - 1997م.

- عثمان حسن، منهج البحث التاريخي، ط 8، القاهرة، دار المعارف، 2000م
- عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، (د.ط)، دمشق، دار ابن كثير، 2005م.
- فالخ بن محمد بن فالخ الصغير، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، (د.ط)، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د.ت).
- كرم البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، ط 41، بيروت، دار المشرق، 1956م.
- لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، (د ط)، مكتبة العبيكان، الرياض، (د ت).
- محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط 4، مكتبة وهبة، مصر، 1964م.
- محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي تأريخه وتقويمه، ط 1، لبنان، مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي، 1416هـ - 1996م.
- محمد السيد الجليلند، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، (د.ط)، القاهرة، دار قباء للنشر والتوزيع، 1999م.
- محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشرعية، ط 7، دار نهضة، مصر، 2002م.
- محمد جلاء إدريس، الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة، ط 1، القاهرة، مكتبة الآداب، 2003م.
- محمد حسن زماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم، ط 1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2010 م.
- محمد خليفة حسن، دراسة القرآن عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت).
- محمد فتح الله الزيايدي، الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، ط 1، دار قتيبة، 1426هـ - 1998م.

- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، (د.ط)، القاهرة، دار المعارف، 1119م .
- محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ط 1، الإسكندرية، دار الدعوة، 1996م.
- مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، (د.ط)، دار الوراق - المكتب الإسلامي، 2011.
- منير البعلبكي، المورد قاموس إنجليزي عربي، ترجمة وتحقيق: منير البعلبكي، ط 1، دار العلم للملايين، 2005م.
- نجيب العقيقي، المستشرقون، ط 3، مصر، دار المعارف، 1964م، ج 1.

رابعاً: الرسائل الجامعية

- حمزة بن عبد المطلب عزيز، "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية"، درجة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1435هـ - 2014م.

خامساً: المجلات والدوريات

- حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين، أجراه الدكتور ظافر يوسف، "الاستشراق الألماني إلى أين؟"، مجلة التراث العربي، العدد 68، 1418هـ - 1997م، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق .
- رائد أمير عبد الله: "المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية"، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد (1/15)، 1435هـ-2014م، قسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الموصل.

سادساً: مواقع الانترنت

- سوسن بيطار، "هارناك أدولف فون"، الموسوعة العربية، 09 أغسطس 2018، الساعة 12:00، <https://www.marefa.org>، أطلع عليه: يوم 2019/05/17.
- علا عبيات، "حرب الثلاثين عاما"، موقع موضوع، 22 يونيو 2017، الساعة 8:06، <https://www.mawdoo3.com>، أطلع عليه يوم: 2019/05/23.
- Jarbot، كارل ماركس، ويكيبيديا، 1 يونيو 2019، الساعة 14:17، <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/>

سابعاً: المراجع الأجنبية

- Andrew Higgins, The Lost Archive: Missing for Years, Cache of Photos Spurs research on Islam's Hallowed Text, New York: Wall Street Journal, 17january 2008
- falkenstein adam, denkschrift zur lage der orientalistik, wisbaden: franzsteiner verlag, 1996
- Noah Webster, webster's encyclopedic unabridged dictionary of English, language illustrée-révisée,1 edition, gramercy, edition books, galliard 1996.
- Shalem Avinoam, Über die Notwendigkeit, zeitgenössisch zu sein: Die islamische Kunst im Schatten der europäischen Kunstgeschichte, in: Orient-Orientalistik-Orientalismus.. Geschichte und Aktualität einer Debatte, Burkhard Schnepel (Hg), Bielefeld: Transcript Verlag, 2011, p 24

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ب
شكر وعرفان	ج
مقدمة	د - ح
المبحث الأول: الاستشراق والاستشراق الألماني	01
المطلب الأول: مفهوم الاستشراق وتاريخ نشأته	02
أولاً: مفهوم الاستشراق	02
ثانياً: تاريخ نشأة الاستشراق	06
المطلب الثاني: الاستشراق الألماني وعلاقته بعلم الكلام الإسلامي	09
أولاً: تاريخ الاستشراق الألماني	09
ثانياً: خصائص الاستشراق الألماني	12
ثالثاً: علاقة الاستشراق الألماني بعلم الكلام الإسلامي	15
المطلب الثالث: ترجمة موجزة للمستشرق جولد تسيهر	20
أولاً: ميلاده ونشأته العلمية ووفاته	21
ثانياً: منهجه الاستشراقي	23
ثالثاً: مصنفاته	28
المبحث الثاني: نقد موقف جولد تسيهر من النبوة المحمدية	31
المطلب الأول: موقف جولد تسيهر من النبوة	32
أولاً: ادّعاؤه أنّ ما جاء به النبي ﷺ مرجعه المصادر الداخلية والخارجية	32
ثانياً: افتراؤه على شخصية النبي ﷺ	36
ثالثاً: إنكار جولد تسيهر لعالمية الرسالة	40
رابعاً: موقف جولد تسيهر من العصمة	41
المطلب الثاني: الرد على مطاعن جولد تسيهر في النبوة	43

43	أولاً: الرد على أن ما جاء به النبي ﷺ مرجعه المصادر الداخلية والخارجية
48	ثانياً: الرد على افتراءاته على شخصية النبي ﷺ
53	ثالثاً: الرد على إنكار جولد تسيهر لعالمية الرسالة المحمدية
56	رابعاً: الرد على ادعاء جولد تسيهر أن النبي ﷺ ليس معصوماً
64	خاتمة
65	الفهارس العامة
66	فهرس الآيات القرآنية
71	فهرس الأحاديث النبوية والآثار
76	فهرس الأعلام
79	فهرس قائمة المصادر والمراجع
82	فهرس الموضوعات
84	ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

تناولت هذه الدراسة النبوة في الدرس الاستشراقي الألماني، واتخذت من المستشرق جولد تسيهر مثالاً لها. وقد جاءت الحاجة إلى هذه الدراسة من منطلق أن الفكر الاستشراقي ظل دائماً وحتى اللحظة الراهنة يمثل تحدياً كبيراً للمسلمين، حيث تتجلى مظاهر هذا التحدي بما ينتجه من مقاربات إرتيائية وشبهات متعددة ومختلفة حول الإسلام وعقيدته من خلال دراسة القرآن الكريم، والسنة النبوية، والسيرة والتاريخ الإسلامي، والزعم بعدم أصالة عقيدة الإسلام باعتمادها على عقائد الأديان السابقة. وقد وظفت في إطار الاشتغال على هذه الدراسة ثلاثة مناهج أساسية هي المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستقرائي إضافة إلى المنهج النقدي. لأخلص في الأخير إلى نتائج متعددة من أهمها: أن كتاب جولد تسيهر "العقيدة والشريعة" يعتبر من أخطر الكتب على الإسلام؛ لما يحمله من مزاعم وشبهات كان لها آثار كبيرة على حقل الدراسات الاستشراقية وتداعياتها على حقل الدراسات الحديثة المعاصرة التي تقوم أساساً على محاولة نزع القداسة عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

Study Summary:

This study dealt with the prophecy in the German Orientalist lesson, and I took the orientalist Goldziher as an example. The need for this study came from the premise that the Orientalist thought has always been and until the present moment is a great challenge for Muslims. The aspects of this challenge are manifested in the many different approaches and suspicions of Islam and its doctrine through the study of the Holy Quran, the Sunnah, the biography and Islamic history, and the claim of the non-authenticity of Islam doctrine by adopting the beliefs of previous religions. In this study, three basic approaches were applied: the analytical descriptive approach, the inductive method, and the critical approach. In the end, I find the following results: That the book of Goldziher "Al Aqida wa Esharya" "doctrine and the law" is one of the most dangerous books on Islam, because of the allegations and suspicions because of the allegations and suspicions have had a significant impact on the field of Oriental studies and their implications on the field of contemporary modernist studies, which are based on the attempt to remove holiness from the Holy Quran and the Sunnah.